

مجلة
المُحدِّث
مجلةٌ علميةٌ فصليةٌ
السنة الثانية، العدد السابع
رجب ١٤٤٣هـ، شباط ٢٠٢٢م
تصدرُ عن
مدرسة الحديث العراقية


بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة





مجلة المحدث مجلة علمية فصلية متخصصة بالحديث وعلومه

تصدر عن

مدرسة الحديث العراقية







المحتويات









كلمة العدد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول صلى الله عليه وسلم وبعد:

فهذه إطلالة فريدة، وعدد جديد لمجلتكم الغراء (المحدث) تغيث همم القراء لمطالعات وفوائد حول ثقافة وأدب طالب علم الحديث والعالم به، فهي واحة غنّاء نستزيد منها علماً وأدباً، وكيف لا نرغب بالاستزادة منها وقد امتلأت كتب الحديث بالقواعد العلمية والوقفات الإيمانية والسير العطرة لمن أفنى العمر في توصيل الخير امتثالاً لقول الحبيب المصطفى ﷺ: ((نضر الله امرأ سمع منا شيئا فبلغه كما سمع، فرب مبلغ أوعى من سامع)) أخرجه الترمذي، رقم (٢٦٥٧). فهي بُغية كل مسلم، فضلاً عن طلبة الحديث وأهله، وهذه الصفحات تنتقي وتنتهل منها.

ومن جناحي العلم والتقوى يحلق المسلم للجنان، فالعلم يورث الخشية، والخشية هي نتاج العلم، فلا تجد أخي الحبيب عنهما، قال الله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر، الآية٩)، فغاية هذه العلوم التي بين يديك هي أن تزيدك خشية، فتحرَّ دوماً ما يزيد الخوف من الله في قلبك، وكل علم لا ينقلك إلى الخوف، ولا يدلك على الطريق هو علم مفضول، لا يغني إذا لم يُتحصل الفاضل، فهو الشرط لتحصيل الإيمان، قال الله تعالى: ﴿...وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران، من الآية ١٧٥)، وهي الطاعة التي وقرت في قلب النبي ﷺ قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ، مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ ۚ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ (الأنعام، الآيتين ١٥، ١٦)، وهي الطريق الجالبة لسلعة الله الغالية التي ذكرها الحبيب المصطفى في الحديث: ((من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة)) أخرجه الترمذي، رقم (٢٤٥٠).

فبادر أخي الحبيب لهذا العلم النافع ليحيا الخوف من الله في قلبي وقلبك.

د. محمد ياسين

عضو هيئة التحرير




مدرسة الحديث العراقية
المقالات





السنة عند المحدثين وأنواعها

أ. د. محمد خروبات
أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم الدراسات الإسلامية بجامعة القاضي عياض بمراكش
تخصص: السنة وعلومها

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله وسلم وبارك على سيد الخلق أجمعين، محمد بن عبد الله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فموضوع هذا المقال (**السّنة عند المحدثين و أنواعها**)، وهو مقال مُكمّل لمقال سابق حول (**السّنة في الدّلالات اللغوية والفقهية**).

أولا: السنة عند المحدثين

التعريف السليم للسنة عند المحدثين هو المستنبط من كتب السنة النّبوية الصحيحة، وما كُتب في عناوين تحمل اسم "السنة" كما في كتاب "الاعتصام بالسنة"، وهو أحد كتب الجامع الصحيح لمحمد بن إسماعيل البخاري، وما دُوّن في كُتب تحمل اسم "السنة"، وأخرى موسومة بنعت "السنن"، ومجمل الآثار المرفوعة والموقوفة التي تحضّ على الاقتداء بالسّنة واتّباعها ...بعد استقراء كل هذا يتبين أنّ المعنى الذي قصده المحدثون هو (ما أثر عن النّبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، أو صفة خِلقية أو خُلقية، أو سيرة سواء كان قبل البعثة أو بعدها"[1] ، وهو تعريف توخّوا منه الجَمع، وقد استُقرِئ هذا من مجموعة من المظان التي يحسن بنا عرض بعضها للمعرفة

(١) انظر: البدر الطالع في حل جمع الجوامع ٢/٧ وما بعدها للسبكي، مؤسسة الرسالة، الأولى ٢٠٠٥م، ورسالة للشيخ عبد الفتاح أبو غدة بعنوان "السنة النبوية وبيان مدلولها الشرعي" ص ٨ وما بعدها، دار القلم، الأولى ١٩٩٢م. وكتابنا كشف الخفي في فهم سنة النبي ص ١٧ وما بعدها، الأحمدية للطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء، الأولى ٢٠٠١م.




والبيان مثل صحيح البخاري في كتاب (الاعتصام بالسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ)، وكتب السّنن، مثل سنن أبي داود، والترمذي، وابن ماجة والنسائي، والدارمي، والبيهقي، والشافعي، والدارقطني ...، وكتب السّنة، مثل السنة لأحمد بن حنبل، والسنة لأبي بكر الخلال، والسنة لمحمد بن نصر المروزي، والسنة لأبي حفص بن شاهين، ولأبي داود السجستاني، ولأبي بكر الأثرم، وغيرهم .

كان الغرض من كل هذا هو التمييز بين نوعين من السنة: سنة النّبي ﷺ المرفوعة وسنة أصحابه الكرام، وهنا يخلص لدينا تمييز بين سُنّة وسُنّة، لكنّ السنة إذا أُطلقت تدخل فيها سُنة النّبي ﷺ وسُنّة أصحابه، وإذا أُفردت تميزت الواحدة عن الأخرى، والغالبية بالإطلاق، وهذا هو المعنى السائد منذ القرن الأول والثاني، بل منذ الجمع الأول للسنة على عهد عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه، ونستطيع أن نُجمل ما قيل في ثلاثة أصناف:

- صنفٌ قصر السنة على سنة النّبي ﷺ من دون سنة أصحابه، ومنهم من رأى أن ذلك هو للسنن، ومصطلح " السنة " يختلف بين الفقهاء والمحدثين، فإذا كان تعريف المحدثين واضح من الاستعمال الاصطلاحي المشهور فإن إطلاق الفقهاء إنما يُراد به الكتب الحاضّة على اتّباع السنة والعمل بها وترك ما حدث من مستحدثات[1].

- وصنف لم يميز بين سنة النّبي ﷺ وسنة أصحابه، فهما شيء واحد بحكم أن سنة الصحابة هي من سُنّة النّبي ﷺ، أما مصطلح (سُنن) فهو اصطلاحٌ فقهيٌ يُعنى بتصنيف أحاديث الأحكام على الأبواب الفقهية مثل الإيمان والطهارة والصلاة والزكاة[2].

(١) أنظر الرسالة المستطرفة بيان مشهور كتب السنة المشرفة ص ٢٩، لمحمد بن جعفر الكتاني، لبنان، الطبعة الثانية.

(٢) الرسالة المستطرفة ص.٢٥





- صنف ثالث لم يفرق بين النوعين لكنه استحدث تمييزا بين السنة والحديث، فالسنة هي قول النّبي ﷺ وفعله وتقريره وأوصافه الخَلقية والخُلقية وسيرته العطرة، وهذا التعريف لا يشمل سنة الصحابة، أما سنة الصحابة ونعني بها الموقوفات فهي لا تُسمى في اصطلاحهم سنة، وتدخل في الحديث، فإذا أطلقوا الحديث دخل فيه المرفوع والموقوف، وإذا أرادوا السنة خصصوا[١].

والقول الراجح في الموضوع هو أن السنة عند جمهور المحدثين تطلق فيراد بها " كل ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية أو سيرة سواء كان قبل البعثة أو بعدها"، وتدخل فيها سُنّة الخلفاء الراشدين والصحابة الكرام لأنهم هم رواتها، وقد عملوا بها، وساروا على نهجها بحيث يصبح من المتعذر التفريق بين سُنّة النّبي ﷺ وما كانوا عليه في مختلف شؤون حياتهم، فإن توافقوا على السنة ألزمونا، وإذا اختلفوا فتلك مساحة للاختيار، لأن اختلافهم في أمور الدين إنما هو اختلاف تنوع ورحمة، ثم إنّ السنة النّبوية في مجموعها هي صيانة للمسلم من الوقوع في البدع والضلالات المُستحدثة في الدين، ولذلك جُعلت في مقابل البدعة لقول النّبي ﷺ: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)[٢]، وقد اتّضح هذا في الحديث الصحيح من أن " سُنّة الوزر" هي البدعة نفسها[٣].

أين تكمن خطورة ما ذهب إليه الفقهاء في معنى السّنة ؟

تكمن الخطورة في جعلها غير واجبة، لأنّهم وضعوها في مقابل الواجب، فهي لا تعني الواجب بل هي في مقابله، وتتنزل على ما يُثاب على فعله ولا يعاقب على تركه حتّى

---

(١) المصدر السابق

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور ١٣٤٣/٣، رقم الحديث ١٧١٨.

(٣) قوله ﷺ: "من سنّ في الاسلام سُنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنَّ في الإسلام سنّة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء"، أخرجه مسلم في الصحيح ٧٠٥/٢، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة، رقم الحديث ١٠١٧.

شاع عند بعض المتأخرين من أهل العلم المشتغلين بالفقه أنه إذا سُئل عن شيءٍ ثابتٍ من سُنّة النّبي ﷺ أهمله وتركه متذرعاً بأنه مجرد سنة، ولا نرى شيوع ظاهرة العزوف عن السنة النبوية إلا من هذا التوجه الفقهي الذي لم يوضع في سياقه، أما المحدثون فيشير المعنى عندهم إلى اقتضاء الاتباع والاقتداء من دون تمييز بين ما يُطلب على سبيل الفرض أو الواجب، وما يُطلب على سبيل الترغيب أو الندب، أو ما يُطلب لأجل النّهي أو الكف، وقد فصل محمد بن نصر المروزي (توفي سنة ٢٩٤هـ) في كتابة "السنّة" الوجوه التي تتصرّف فيها السنة فأجاد وأربى على الحد وأفاد[١].

ثانياً: ضوابط في أنواع السنة

أخذنا هذه الأنواع من التعريف السّابق للسنة النّبوية، فهي عندهم " قول وفعل وتقرير، وصفة خَلقية أو خُلقية "، وهذا يعطي أربعة أنواع من السنة: السنة القولية، والسنة الفعلية، والسنة التقريرية، والصّفات الخَلقية والخُلقية[٢].

١- السنّة القولية

هي ما قاله النّبي ﷺ بأية طريقة من طرق القول، ويكون إما إخباراً أو أمراً أو نهياً، الإخبار هو خارج نطاق التكليف، والأمر والنهي يكون ضمن نص آيل إلى أحد الأحكام التكليفية، وهو على نوعين:

- ❖ نوع يقع تأكيدا لما جاء في كتاب الله، قاله الله تعالى، وقاله رسوله ﷺ.
- ❖ ونوع قاله النّبي ﷺ ولم يأت ذلك في القرآن الكريم.

وممّا يدخل في هذا النوع ما أجاب به النّبي ﷺ أصحابه، وما حكاه عن ربّه عزّ وجل مما يدخل في الأحاديث القدسية، والعلاقة بين ما قاله الله تعالى وما قاله نبيُّه ﷺ محددة بضوابط علمية محكمة.

---

(١) كتاب السنة ص ٣٥ لمحمد بن نصر المروزي، مؤسسة الكتب الثقافية، الأولى ١٩٨٨م.

(٢) أنظر البدر الطالع في حل جمع الجوامع، الكتاب الثاني في السنة ٢/٧ وما بعدها.




٢- السنة الفعلية

الفعل النّبوي هو ترجمة عملية لقوله أو لما يمكن أن يقوله، والقول هو قول للذات لأجل العمل، فهو يعمل بما قاله له ربه في كتابه أو بما نُفث في روعه لقوله ﷺ: (إنّ روح القدس قد نفث في روعي ..)[١]، أو بما أمره به جبريل من ربه، يقول تعالى: (قل كل يعمل على شاكلته)[٢]، ويقول : ﴿ قُلْ يَـٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ﴾[٣].

٣- السنة التقريرية

يجب التفريق هنا بين "السنة التقريرية" و"السنة المقررة"، فالتقريرية أن يعمل الصحابي بعملٍ ما، أو يقول قولا فيسكتُ النّبي ﷺ كالراضي به، أو يشير بأي نوع من أنواع الإشارة، أو يعبر بأي نوع من أنواع العبارة على جوازه، فهذا هو المشهور ب "السنة التقريرية".

وأما "السنة المقررة" فهي ما أقره الوحي في الكتاب، كأن يعمل النّبي ﷺ عملا مُعينا أو يقول قولا فيُقره الوحي مثل قوله في مُجمل أقواله: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾[٤]، فهذا ينطبق على السنة القولية المقررة، أو يفعل فعلا معينا فيقره الوحي، من مثل قوله تعالى: ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[٥]، فأقر الوحي ما فعله النّبي مع صحابته في خيبر من دون أمر سابق، ثم

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ٢٨٤/١، للحافظ ابن عبد البر القرطبي، طبعة وزارة الأوقاف المغربية، ١٩٨٨م.
(٢) سورة الإسراء الآية.٨٤
(٣) سورة الأنعام الآية.١٣٥
(٤) سورة النجم الآية. ٣-٤
(٥) سورة الحشر الآية.٥

أقره في العمل كله فقال: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾[١]، وهذا ينطبق على السنة الفعلية المقررة، وتدخل فيها ما أطلقوا عليه "التصرفات النبوية".

وعلى كل هذه الأنواع شواهد وأدلة من القرآن والسنة بسطناها بما يكفي في كتابنا " **كشف الخفي في فهم سنة النبي**" فليرجع إليه[٢].

٤- الصفة الخَلقية والخُلقية

هي صفات، لكنّها من السنة النبوية، دليل ذلك أنها صفات صاحب السنّة، وهو رسول الله ﷺ، فهيئتُه في شكله وزيه وهندامه وشعره ولباسه وحركاته وسكناته هي من الصفات الخَلقية، بعضه يدخل في الفعل والبعض الآخر لا يدخل، أما الصفات الخُلقية فهي مُجمل شمائله عليه السلام، وتشمل آدابه وأخلاقه وطرق معاشرته، ودليل هذا النوع قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٣]، وقوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾[٤].

تدل الآيات على أن هذه الأخلاق هي موكولة إلى الله تعالى، فهي تجري مجرى الوحي أيضا، لذلك فهي من السنّة.

خُلاصة:

عالجنا في هذا البحث السّنة عند المحدثين، كما حدّدنا أنواعها المشهورة وضوابط هذه الأنواع، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

---

(١) سورة يونس الآية ٤١.

(٢) كشف الخفي في فهم سنة النبي ص ١٧ وما بعدها.

(٣) سورة القلم الآية ٤.

(٤) سورة آل عمران الآية ١٥٩.






إعمال المقاصد في فهم السنة النبوية بين التأصيل والتحريف

د. بشير السيد السيد شكر
مصر- جامعة الأزهر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد، عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم، أما بعد:

إنَّ التأمل في مقصد النَّص النبوي والنظر فيه من أقوى الضوابط في فهم النَّص فهمًا حسنًا، والوصول إلى صحة معناه، وحل إشكاله، ودقة استنباط أحكامه، وتوسيع دائرة الاجتهاد فيه، بل التمسك بحرفية النصوص في بعض الأحاديث قد يؤدي إلى سوء الفهم، وخطأ الاستدلال، وفساد التصور؛ لذا فإن إعمال المقاصد في فهم الأحاديث النبوية له أكبر الأثر في الفهم الصحيح للسنة النبوية.

فالمقاصد لها أثر كبير في استنباط الأحكام الفقهية، فكما أنَّ الحكم الشرعي يُستنبط من النصوص الشرعية قرآنًا أكانت أو سُنة، كذلك يُستنبط الحكم الشرعي من مقصد النَّص النبوي؛ لذا يقول الإمام الشاطبي: «المقاصد أرواح الأعمال»(١).

كما أنَّ المقاصد في ظل النظرة التأصيلية لها أثر كبير في اختلاف الحكم المستنبط من الحديث باختلاف الأزمنة والأمكنة والأحوال، وفي إزالة التعارض الظاهري بين الأحاديث، وفي تعليل الأحكام المستنبطة من نصوص الأحاديث، للقياس عليها، كل ذلك في ضوء الضوابط وإطار القواعد الحاكمة لعملية إعمال المقاصد في فهم السنة النبوية.

---

(١) الموافقات ٣/٤٤.




ولكن التيار الحداثي قد اتخذ من نظرية المقاصد ستارًا للعب بالمصطلحات، وملاذًا للتخلص من سلطة النص، وذريعةً لتبديل الشرع، وستارًا لتحريف الدين، من خلال التمويه على العامة، وإلباس الباطل ثوب الحق. وتتلخص معالم النظرة الحداثية من خلال ما يلي:

أولًا: رمزية الألفاظ والنُّصوص:

يقول الحَداثي بفكرة "الرمزية" أي رمزية الألفاظ والقصص والأخبار والأشياء، ويتعامل مع لغة النَّص النبوي على أنها مجموعة من الرموز والعلامات التي لا تُعد حقيقة بذاتها. وهذه الرمزية من المنظور الحداثي تنطلق بلا أدنى ضابط أو شرط، بل إن وظيفتها خلق تأويلات متعارضة وتفسيرات لا نهائية للنص النبوي.

إذاً ففكرة الرمزية لا تهدف إلى الوصول إلى معنى النص أو المقصد منه، بقدر ما تريد أن تجعل النَّص قابلًا للكثير من المعاني المتفاوتة حسب كل قارئ وفهمه ونظرته في رمزية النص المُراد تأويله.

ولا يُعتبر فهم النصوص النبوية وتأويلها في ظل هذه النظرية علمًا يمكن تعلمه، أو منهجًا يمكن تطبيقه في فهم النصوص، كما أنَّ الفهم لا يحتاج إلى علماء متخصصين؛ لأنَّ الفهم في المقام الأول يُعد تجربة شخصية للقارئ دون أدنى منهجية أو ضابط، أو وساطة بين النَّص وبين القارئ العادي.

وبناءً على هذه الفكرة فإنَّ طقوس العبادات ليست مقصودة بذاتها، بل هي مجرد رموز، ويمكن الاكتفاء بمضمون الرموز عن أفعال العبادات.

ويشرح حسن حنفي تطبيقه للصيام في ظل نظرية الرمزية: بأن الصيام رمز للإحساس بالآخرين جوعاً وعطشاً، فيمكن للإنسان الإحساس بالآخرين، وذلك بالالتزام بقضايا الفقر، وقضايا الجماعة، وإذا كان الصيام نوعًا من الراحة للبدن فإنه يمكن أن يخفف من طعامه وشرابه؛ وقاية للبدن وحرصًا على صحته، وإذا كان الصيام يدل على أنَّ للإنسان إرادة على بدنه وقدرة في التحكم في وظائفه العضوية،





فيمكن للإنسان أن يُمارس هذه الإرادة في مواقف اجتماعية في حالة حصار أو سجنٍ أو فقر. وهكذا تُطبق هذه الفكرة في جميع أنواع العبادات(١).

ثانيًا: اعتبار المصلحة حاكمة على النَّص:

راعت الشريعة الإسلامية مصالح العباد في دنياهم وأخراهم في موازنة بين مصالح الروح والجسد، وأول هذه المصالح مصلحة الدين؛ فإنها أساس للمصالح الأخرى، ومقدمة عليها؛ لذا ينبغي طرح ما يُعارضها ويُصادمها من مصالح أيًا كانت؛ إبقاءً لها وحفاظًا عليها(٢).

أما الخطاب الحداثي فإنه يشيد بنظرية المصلحة على أنها هي التي تمثل الأساس والمرجع للتشريع الإسلامي، وهي التي يمكن من خلالها الحفاظ على روح الإسلام في عصر الحداثة.

وعلى الرغم من إشادة الفكر الحداثي بالمصلحة إلا أنَّ أرباب هذا الفكر ومناصريه لم يُحددوا ماهية المصلحة، ولم يُقدموا مشروعًا متكاملًا يُعرف من خلاله ماهية المصلحة، ويُحدد معالمها وهويتها، ويبين حدودها وضوابطها، ويشرح أسسها وضوابطها، فما المصلحة التي تقدَّم وما شروطها؟ وما ضوابطها؟

بل إننا نكاد نجزم أنَّ غياب المنهجية والضوابط في اعتبار المصالح مقصود عند أرباب هذا الفكر؛ حتى يكون مصطلح المصلحة هلامي فضفاض، مما يؤدي إلى تعطيل النصوص، وتغير الكلم عن مواضعه.

والمصلحة التي يراها الفكر الحداثي ناتجة عن العقل الإنساني الذي ينطلق في ظل الحداثة بلا ضابط أو قيد؛ ومن ثمَّ فإن ما يراه النفوس السوية مصلحة كتحريم دور البغاء وغيرها قد يراها أرباب الفكر الحداثي مصلحةً؛ لأنها تدرُّ على أصحابها الكثير من المال؛ فهي مصلحة في نظر أصحابها من هذه الناحية.

---

(١) يُنظر: من العقيدة إلى الثورة ٥١/٤، ٥٢.

(٢) يُنظر: ضوابط المصلحة للدكتور محمد رمضان البوطي ص٥٨.



يقول الدكتور: محمد رمضان البوطي مبينا منهج الحداثيين المصلحي: «إنَّ فتح أبواب دور اللهو على مصاريعها وعرض أشد المغريات الجنسية في أنحاء المجتمع وإطلاق الخمور والمكيفات في رؤوس الناس وعقولهم كل ذلك يُعتبر شرًا في النظرة الأولى فقط، ولكن سُرعان ما ينقلب إلى خيرٍ كبيرٍ عندما يُلاحظ الرِّبح المادي الذي تُثمره دور اللهو وتجنيه ضرائب الخمور.......كما أنه من السهل تحويل الكثير من المُوبقات إلى مصالح ضرورية»[(١)].

ثالثًا: تعطيل الحدود بدعوى مصادمتها لمقاصد الشريعة الإسلامية:

يرى الفكر الحداثي أنَّ الحدود المُستقاة من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية تتصادم مع مقاصد الشريعة الإسلامية، فيزعمون أن تطبيق الحدود فيها وحشية وقسوة وتتعارض مع مقاصد الشريعة الإسلامية من احترام حقوق الإنسان وحريته وكرامته، وإذا أخذنا مثالًا لذلك، فإنَّ حدَّ السَّرِقة قد أخذ النصيب الأكبر والحظ الأوفر من النقد والنقض؛ فزعموا أنه يُنافي مقصد الرحمة والإنسانية، ويُخلف على المجتمع مجموعة من المشوهين والعاطلين!!

وإذا عقدنا موازنةً بين النظرة التأصيلية والرؤية الحداثية في إعمال المقاصد، يتضح لنا ما يلي:

أولًا: فهم النص النبوي بين المقاصد الشرعية والرمزية في المنظور الحداثي

إنَّ النظرة التأصيلية للمقاصد وإعمالها في فهم النَّص النبوي تعتمد على ضوابط علمية؛ ترجع إلى عدة أُمور:

١- المتصدي لهذا الميدان؛ فلا بد أن يكون الناظر في هذا الفنِّ من أهل الاجتهاد.

٢- ترجع إلى النص نفسه: فيجب ألّا يتعدَّى فهم الحديث لفظه وظاهره في الأمور التوقيفية مما لا مجال للاجتهاد فيه، ويجب ألّا يؤدي إعمال المقاصد إلى إبطال لفظ الحديث، كما أنَّ الأصل في الفهم ظاهر اللفظ، ولا يجوز الخروج عن

---

(١) ضوابط المصلحة صـ ٣٧-٣٩.



ظاهر النص إلا بقرائن معتبرة.

٣- ترجع إلى فقه الأولويات؛ فيجب ألَّا يؤدي تفسير الحديث في ضوء المقاصد إلى إبطال مقصد أولى وأهم، وألَّا يؤدي تفسير الحديث في ضوء المقاصد إلى مخالفة النصوص القطعية أو الإجماع أو مخالفة المقاصد العامة المتفق عليها.

أما الرؤية الحداثية في إعمالها للمقاصد من خلال الرمزية والمضمون تعاني من فقدان المنهجية وغياب الضوابط والقواعد؛ فإذا كان العلماء المجتهدون هم الذين يستنبطون مقصد النص؛ فإن الحداثة في ضوء الرمزية تفتح الباب واسعًا لأي شخصٍ أن يجتهد في فهم النَّص ومضمونه ويُمارس العبادة والشعائر في ضوء هذا الفهم الشخصي، مما يؤدي إلى تعدد الممارسات للعبادة الواحدة، وهكذا كلٌّ يعبد الله على طريقته الخاصة ومزاجه الخاصّ!.

أما بالنسبة لضوابط النصوص التي يُعمل فيها المقاصد فإن هذه الرمزية المزعومة قد استباحت جميع النصوص القطعية فضلًا عن الظنيَّة تحت شعار المقاصد والغائية، فلا عبرة لألفاظ النصوص عندهم أو ظواهرها، فكل نصٍ يشكل رمزًا من الرموز، كما وجدنا في تفسير أحدهم لممارسة شعيرة الصيام!!.

ثانيًا: المصالح بين احتكامها للنَّص وحاكميتها عليه

من المعلوم أنَّ نصوص الدين وأحكام الشريعة هي المرجع لحياة النَّاس؛ إذ فيها صلاح أحوالهم في دنياهم وأخراهم، فالنصوص لا تتغير بتغير الزمان والمكان والحال؛ لذا فإن الثوابت الإسلامية لا يمكن تغييرها أو تعديلها بممارسة الاجتهاد المقاصدي، بل إن طابع الثبات فيها هو نفسه المقصد المعتبر والقطعي والثابت الذي لا يتغير بتغير الزمن والظرف، والذي جعله الشارع محفوظًا ومعلومًا للأبد وغير خاضع للتأويل والنظر واحتمال التلاعب والتعطيل والتعسف.

أما النظرة المقاصدية التي اعتمدها التيار الحداثي تؤدي بالضرورة إلى إلغاء النصوص الشرعية وإزالة مرجعية الشريعة في الحياة؛ فبدل أن تكون الشريعة هي



الحاكمة على حياة الناس تكون تابعة لها في مصالحها، فتتغير أحكامها بتغيُّر مصالح الناس وتتبدل بتبدُّلها.

وهذا الفكر متنافٍ بصورة قاطعة مع حقيقة الدين ومتناقض مع هدفه الأصلي؛ فإن الدين هو الحاكم لتنظيم حياة الإنسان؛ بحيث يكون الإنسان خاضعاً لتعاليم الدين ومنظماً لحياته وَفْقاً لأحكامه، ولكن الخطاب الحداثي قلب القضية في الإسلام، فجعل أحكام الإسلام تابعة لحياة الإنسان، تتكيف بتكيفاتها المتغيرة، فإذا لم يكن في هذه الفكرة تضييع للدين ونسفٌ لمرجعيته وإزالة لهيبته فكيف يكون ذلك إذن؟

وإذا انتزع الدين من حاكميته للمصالح أصبح المال الحرام المكتسب مصلحة للفرد، كالمال المكتسب من البغاء، أو المكتسب من الخمور أو غير ذلك من وسائل الكسب السريع فهي مصالح في نظر أصحابها ما دامت قد انسلخت من الضوابط والقيود.

ثالثًا: النصوص النبوية بين أحكامها وغاياتها

إن الحكم الشرعي يُستنبط من لفظ النص النبوي وظاهره، كما يُستنبط أيضًا من مقصد النَّص ومُراد الشارع، ومن مظاهر المراعاة بين الأصالة والمرونة في الشريعة الإسلامية: أنَّ الحكم المُستنبط من النَّص قد يختلف باختلاف الزمان والمكان والحال؛ تبعًا للمقاصد، ولكن مع اعتبار ذلك فإن المقاصد لا تلغي النَّص، فمشروعية إخراج زكاة الفطر مثلا؛ تبعًا للمقاصد لا تُلغي الحديث النبوي الذي ينص على إخراجها من القوت والطعام.

أما الخطاب الحداثي فقد انتهى من خلال الاعتماد على نظرية المقاصد إلى تعطيل أحكام الشريعة، وتوصَّل إلى أن أحكام الشريعة المستنبطة من النصوص لم تشرع إلا لتحقيق مقاصدها، فهي تقوم مقام الوسائل بالنسبة للغايات، فكلٌ يفهم مقصد النَّص حسب مراده ووفق مزاجه دون أدنى مُراعاة للنصوص الشرعية.

وفي إطار هذه النظرية فإنَّ أحكام الحدود لم تشرع إلا لردع مقترفي المعاصي،



ومنع الربا لم يشرع إلا لتحقيق مقصد العدالة ومنع استغلال القوي للضعيف، وهكذا الأمر في كل حكم من أحكام الشريعة، فهي لا تحمل أي قيمة في ذاتها؛ وإنما قيمتها من جهة تحقيقها لمقاصدها، فإذا تحقق المقصد من غيرها، بحيث إن العصر أو حاجة الناس أوجبت طريقاً آخر يحقق لنا المقصد منها فلا داعي للالتزام بها.

وهل استنباط الغاية من النَّص في المنظور الحداثي يتسم بالمصداقية والحيادية أم أنَّ الأمر انتقائي بالنسبة لنصوص السنة النبوية وأحكام الشريعة الإسلامية؟!

إن الناظر للفكر الحداثي يجد تناقضًا واضحًا وفقدانًا للعدالة والمصداقية؛ لأنه إذا كان المقصد من حد السرقة الحد من الجريمة والحفاظ على أموال الناس وممتلكاتهم فإن النتيجة يجب أن تكون تغليظ العقوبة في ظل انتشار الجريمة والفساد والاختلاس لا التخفيف منها كما فعل الطرح الحداثيّ!

وإذا كان الغاية من تحريم الخمر والمسكرات الحفاظ على العقول الإنسانية من ناحية، ومن ناحية أخرى حماية أعراض الناس من السُكارى فإنه يجب وفقًا للنظرية الحداثية وضع عقوبةً زاجرة، بل إن مما يدعو إلى الاستغراب والتعجب أن الخمر والمسكرات والمشروبات الروحية عند أرباب هذا الفكر من باب الحرية الشخصية!

وإذا كان الغاية من الزنا المحافظة على أعراض الناس ومنع اختلاط الأنساب فإنه وفقًا لهذه الغاية النبيلة زيادة عقوبة الزنا؛ نظرًا لما تُخلفه من مفاسد على الفرد والمجتمع، فإن هذا يعني أنه إذا ازداد الفساد في المجتمع وازدادت معدلات العلاقة المحرَّمة أن يزداد مقدار العقوبة لا أن يغيِّر شكلها ويخفف منها. وإذا كان المقصد من الزكاة تحقيق العدالة وتقسيم الثروة، فإن هذا يعني أنه إذا ازداد شجع الأغنياء أو ازدادت حاجة الفقراء أن نزيد في أنصبة الزكاة.

ومن ثمَّ فإنك تجد تناقضًا واضحًا بين مقدمات الفكر الحداثي ومقالاته عن أهمية المقاصد، وبين منتجاته مما يدعو صاحب النظرة العلمية البحثية إلى مزيد من الاستنكار والاستغراب لهذا التناقض العجيب إذا افترض حُسن النية في طرحهم لهذه



الفكرة! ولكن في الحقيقة لا عجب ولا غرابة؛ فما جاء هذا الفكر إلا لتحريف الكلم عن مواضعه، وتعطيل أحكام الشريعة، وإلغاء النصوص، ونسف محتواها، تحت شعارات براقة، ومظاهر خادعة.

ومن ثمَّ فإنَّ هذه المُقارنة قد كشفت النِّقاب عن الخُدعة الحداثية التي تتميز بالمراوغة واللعب بالمصطلحات؛ فيستخدمون المُصطلحات العلمية التي استخدمها العلماء كالمقاصد والمصالح وغير ذلك، وعند البحث العلمي المتجرد يجد الباحث أنَّ هذه المصطلحات ليست إلا ستارًا لهدم الشريعة وتعطيل النصوص وضياع الأحكام الشرعية، وتحريف الكلم عن مواضعه.

كما أبرزت المقارنة أنَّ العلماء يجتهدون في مُراد الله وحكمته من النُّصوص التي تقبل الاجتهاد؛ أما أرباب التيار الحداثي فلا يريدون إلا مقاصد أنفسهم ومصالح أهوائهم تحت شعارات الرمزية والغائية والمضمون.






مفاتيح السنة النبوية

-القسم الأول-

الدكتور عماد محمد عبدالله
دكتوراه في الدعوة والثقافة الإسلامية جامعة الأزهر
بتقدير (مرتبة الشرف الأولى)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، ومن والاه وبعد.....

فإن السنة النبوية هي الينبوع الصافي والمورد العذب المتدفق للشريعة وأحكامها، ومصدر النور والهداية والاستقامة، والترجمة العملية للقرآن وتعاليمه، والطريق الموصل لمرضاته ومحبته عز وجل، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١].

فـ«الطرق كلها مسدودة إلا طريق من اقتفى آثار النبي ﷺ ... وكل عمل بلا متابعة فهو عيش النفس»[٢].

والسنة كسفينة نوح من ركبها فقد نجا، ومن لم يركبها فلا نجاة:

فـ«يا من يريد نجاته يوم الحسا ... ب من الجحيم وموقد النيران
اتبع رسـول الله في الأقـوال والأ ... عمال لا تخـــرج عن القرآن»[٣]

---

(١) آل عمران الآية: ٣١.

(٢) «طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ٧) باختصار، لابن قيم الجوزية، الناشر: دار السلفية، القاهرة، مصر الطبعة: الثانية، ١٣٩٤هـ.

(٣) نونية ابن القيم=الكافية الشافية (١ / ٢٥٥) مكتبة ابن تيمية القاهرة الطبعة الثانية لسنة ١٤١٧هـ.



والسنة النبوية كالحديقة الغناء بها من الورود والرياحين والثمار، لكن هذه الحديقة لها أبواب، ولكل باب مفتاح[1]، فمن ملك المفاتيح ملك الحديقة واستمتع بما فيها، وهذه جملة من المفاتيح للتعامل مع سنة رسول الله ﷺ بين يديك لتملك الدخول إلى رياضها ولتقطف من أزهارها النضرة، وترتشف من أريجها، وتستمتع بثمارها اليانعة، وإليك هذه المفاتيح:

أولاً: تحري طريقة الأصحاب في التلقي.

إن فهم السنة النبوية فهماً صحيحاً يتطلب العودة إلى منهج الصحابة رضوان الله عليهم، وتحري طريقتهم في التلقي عن رسول الله ﷺ، وهذا هو المفتاح الأول للتعامل مع السنة النبوية والدخول إليها، فلن تصلح هذه الأمة فهماً وعملاً إلا بما صلح به أولها، وجيل الصحابة رضوان الله عليهم هو الجيل الفريد الذي شاهد الوحي وتلقى مباشرة من صاحبه ﷺ بلا وسائط، فشربوا من الينابيع الصافية وارتشفوا الروائح الذكية، وهذا الجيل هو الميزان الذي من خلاله نستطيع أن نضع أيدينا على الخلل الذي أصاب الأمة في واقعها سواء في التصور أو السلوك أو في التنزيل. والسؤال هنا كيف كان يتعامل الصحابة رضوان الله عليهم مع السنة النبوية؟.

ويمكن اختصار ذلك في النقاط التالية:

(١) الحرص على طلبها وتعلمها.

فالمعلم الأول لمنهجية الصحابة رضوان الله عليهم مع السنة النبوية هو الحرص على طلبها وتعلمها، لأن العلم مقدم على العمل، والخلل الحاصل اليوم هو: زهد بعض الناس في مجالس العلم والعلماء مما ترتب عليه فشو الجهل، لذلك بوب إمامنا البخاري رحمه الله بابًا في صحيحه سماه: «العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾[2] فَبَدَأَ بِالعِلْمِ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: في قوله تعالى: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ (حُلَمَاءَ فُقَهَاءَ)، وَيُقَالُ: الرَّبَّانِيُّ الَّذِي يُرَبِّي النَّاسَ بِصِغَارِ العِلْمِ قَبْلَ كِبَارِهِ[3].

---

(١) و(المفتاح):(مفتاح الباب وكل ما فتح به الشيء) تاج العروس (٦/٧) للزبيدي الناشر دار الهداية.

(٢) سورة محمد الآية: ١٩ .

(٣) صحيح البخاري ١/ ٢٤ باختصار.



يقول الإمام ابن حجر العسقلاني رحمه الله: «أَرَادَ بِهِ أَنَّ الْعِلْمَ شَرْطٌ فِي صِحَّةِ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ فَلَا يُعْتَبَرَانِ إِلَّا بِهِ فَهُوَ مُتَقَدِّمٌ عَلَيْهِمَا لِأَنَّهُ مُصَحِّحٌ لِلنِّيَّةِ الْمُصَحِّحَةِ لِلْعَمَلِ فَنَبَّهَ الْمُصَنِّفُ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى لَا يَسْبِقُ إِلَى الذِّهْنِ مِنْ قَوْلِهِمْ إِنَّ الْعِلْمَ لَا يَنْفَعُ إِلَّا بِالْعَمَلِ تَهْوِينُ أَمْرِ الْعِلْمِ وَالتَّسَاهُلُ فِي طَلَبِهِ وَالْخِطَابُ وَإِنْ كَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَهُوَ مُتَنَاوِلٌ لِأُمَّتِهِ»[(١)].

فلابد من التلقي والمباشرة والجلوس في مجالس العلم والأخذ عن العلماء الربانيين، وهذا كان المنهج النبوي فلقد كان: «ﷺ يعيش بين أصحابه دون أن يكون بينه وبينهم حجاب، فقد كان يخالطهم في المسجد والسوق والبيت والسفر والحضر، وكانت أفعاله وأقواله محل عناية منهم وتقدير، حيث كان ﷺ محور حياتهم الدينية والدنيوية، منذ أن هداهم الله به وأنقذهم من الضلالة والظلام إلى الهداية والنور، ولقد بلغ من حرصهم على تتبعهم لأقواله وأعماله أن كان بعضهم يتناوبون ملازمة مجلسه يوما بعد يوم، ...لما ثبت عندهم من وجوب اتباعه والنزول عند أمره ونهيه، ولهذا كانت القبائل النائية عن المدينة ترسل إليه ﷺ بعض أفرادها ليتعلموا أحكام الإسلام منه ثم يرجعون إليهم معلمين ومرشدين، بل كان الصحابي يقطع المسافات الواسعة ليسأل رسول الله ﷺ عن حكم شرعي، ثم يرجع لا يلوي على شيء، ... كما كانت النساء تذهب إلى زوجات النبي ﷺ فأحيانا يسألن رسول الله ما يشأن السؤال عنه من أمورهن، فإذا كان هنالك ما يمنع النبي من التصريح للمرأة بالحكم الشرعي أمر إحدى زوجاته أن تفهمها إياه»[(٢)].

(٢) الحرص على تدبرها:

من منهجية الأصحاب رضوان الله عليهم مع السنة فهم مراده ﷺ، لأنهم كانوا يعرفون أن الهدف ليس مجرد الوصول إلى الحديث أو الدليل، بل لابد من الفهم الدقيق والعميق من صاحب الشريعة، لذلك نجد الإمام البخاري رحمه الله بوب بابًا

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ١/ ١٦٠ باختصار.: لابن حجر العسقلاني الناشر: دار المعرفة -بيروت، ١٣٧٩رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب.

(٢) «السنة ومكانتها» (٧٤/٧٥) باختصار لمصطفى السباعي الناشر: المكتب الإسلامي دار الوراق للنشر والتوزيع. الطبعة: الأولى، سنة ٢٠٠٠ م .

في صحيحه سماه: - بَاب الْفَهْمِ فِي الْعِلْمِ- وذكر عدة أحاديث تدل على أهمية الفقه منها: عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: صَحِبْتُ ابْنَ عُمَرَ ﷺ إِلَى المَدِينَةِ فَلَمْ أَسْمَعْهُ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا حَدِيثًا وَاحِدًا، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَأُتِيَ بِجُمَّارٍ، فَقَالَ: «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً، مَثَلُهَا كَمَثَلِ المُسْلِمِ»، فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ: هِيَ النَّخْلَةُ، فَإِذَا أَنَا أَصْغَرُ القَوْمِ، فَسَكَتُّ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هِيَ النَّخْلَةُ»[١].

(٣) الحرص على العمل بها

لم يكن طلب الأصحاب رضوان الله عليهم للعلم والفقه غاية، بل كان وسيلة للوصول إلى ثمرة العلم وهي: (العمل) يقول الإمام الشاطبي رحمه الله فـ«العلم الذي هو العلم المعتبر شرعا -أعني الذي مدح الله ورسوله ﷺ أهله على الإطلاق- هو العلم الباعث على العمل، الذي لا يخلي صاحبه جاريا مع هواه كيفما كان، بل هو المقيد لصاحبه بمقتضاه، الحامل له على قوانينه[٢].

أما أن يصبح العلم هو الغاية والهدف ويترك العمل فهذا آفة العصور المتأخرة، وهو الفارق بيننا وبين الصحابة، فإن أعظم قضية كانت تشغل الأصحاب رضوان الله عليهم هي: (العمل) وخير دليل على ذلك قول ابن عمر رضي الله عنهما، فعن القاسم بن عوف الشيباني قال: سمعت ابن عمر يقول: لقد عشنا برهة من دهرنا وإن أحدثنا يؤتى الإيمان قبل القرآن وتنزل السورة على محمد ﷺ فيتعلم حلالها وحرامها وما ينبغي أن يوقف عنده فيها كما تعلمون أنتم القرآن ثم قال: لقد رأيت رجالا يؤتى أحدهم القرآن فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ما يدري ما آمره ولا زاجره ولا ما ينبغي أن يوقف عنده منه ينثره نثر الدقل[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم ،باب الفهم في العلم. (١/ ٢٥) رقم ٦١ .

(٢) «الموافقات» (١/ ٨٩).

(٣) هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولا أعرف له علة ولم يخرجاه، تعليق الذهبي في التلخيص: على شرطهما ولا علة له، ينظر: المستدرك على الصحيحين للحاكم مع تعليقات الذهبي في التلخيص (ج ١/ ص ٩١) محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ، ١٤١١ – ١٩٩٠م تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا .

ثانياً: فهم السنة في ضوء مقاصد الشريعة:

المفتاح الثاني للدخول إلى السنة النبوية هو العلم بمقاصد الشريعة الغراء والتي تعني: «المعاني والحِكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة»[1].

والهدف من معرفة مقاصد الشريعة يكمن في:

١-أنها تساعد على ربط الجزئيات بالكليات.

٢-تعين على إدراك وأسرار مقصود الشرع منها.

٣-تساعد على إدراك مآلات الأفعال.

٤-تعمل على تحقيق المصالح ودرء المفاسد.

٥-تعالج قضية السطحية والحرفية في التعامل مع السنة النبوية.

ومن النماذج التي استخدمت هذا المفتاح:

أ- صديق هذه الأمة أبوبكر رضي الله عنه.

فعَنْ عُبَيْدِ بْنِ السَّبَّاقِ رضي الله عنه أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ رضي الله عنه قَالَ: أَرْسَلَ إلي أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه مَقْتَلَ أَهْلِ الْيَمَامَةِ فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه عِنْدَهُ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: إِنَّ عُمَرَ رضي الله عنه أَتَانِي فَقَالَ إِنَّ الْقَتْلَ قَدْ اسْتَحَرَّ يَوْمَ الْيَمَامَةِ بِقُرَّاءِ الْقُرْآنِ وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ الْقَتْلُ بِالْقُرَّاءِ بِالْمَوَاطِنِ فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنْ الْقُرْآنِ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَأْمُرَ بِجَمْعِ الْقُرْآنِ، قُلْتُ لِعُمَرَ رضي الله عنه: كَيْفَ تَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: هَذَا وَاللَّهِ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ رضي الله عنه يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِذَلِكَ، وَرَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الَّذِي رَأَى عُمَرُ رضي الله عنه قَالَ زَيْدٌ رضي الله عنه: قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ لَا نَتَّهِمُكَ، وَقَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَتَبَّعْ الْقُرْآنَ فَاجْمَعْهُ. فَوَاللَّهِ لَوْ كَلَّفُونِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنْ الْجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ على مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ مِنْ جَمْعِ الْقُرْآنِ. قُلْتُ: كَيْفَ تَفْعَلُونَ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ لَهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنهما فَتَتَبَّعْتُ الْقُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنْ الْعُسُبِ وَاللِّخَافِ وَصُدُورِ الرِّجَالِ»[2].

---

(١) مقاصد الشريعة الإسلامية ص٨ لابن عاشور ط الشركة التونسية للتوزيع ط١٩٧٨م.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن. (٦/ ٧١) رقم ٤٩٨٦.

ب- أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ:

فعَنْ ثَوْرِ بْنِ زَيْدٍ الدِّيلِيِّ ﷺ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ، اسْتَشَارَ فِي الْخَمْرِ يَشْرَبُهَا الرَّجُلُ فَقَالَ لَهُ علي بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ: نَرَى أَنْ تَجْلِدَهُ ثَمَانِينَ، فَإِنَّهُ إِذَا شَرِبَ سَكِرَ، وَإِذَا سَكِرَ هَذَى، وَإِذَا هَذَى، افْتَرَى، أَوْ كَمَا قَالَ: فَجَلَدَ عُمَرُ فِي الْخَمْرِ ثَمَانِينَ»[(١)].

وهكذا كان الصحابة رضوان الله عليهم يراعون المقاصد في التعامل مع السنة النبوية فهماً وتنزيلا.

ثالثاً: تلقيها عن الراسخين في العلم:

من المفاتيح المهمة لفهم السنة تلقيها عن الراسخين في العلم، فعن محمد بن سيرين رحمه الله، قال: «إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم»[(٢)].

فلابد من التحري في مسألة التلقي، فعلى من يريد الفهم الصحيح للسنة النبوية أن ينظر للمصدر الذي سيتلقى منه، وخير مصدر للتلقي هم خير القرون[(٣)]، فهم المبدأ والمنطلق، فلينظر في أقوالهم وأحوالهم وسيرتهم، ويطلب منك الإمام ابن القيم في نونيته الماتعة الجلوس بين رياضهم فيقول:

واجعل جلوسك بين صحب محمد ... وتلق معهم عنه بالإحسان
وتلق عنهم ما تلقـــــــوه هم ... عنه من الإيمـــان والعرفـــان[(٤)]

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ كِتَابُ الْأَشْرِبَةِ-بَابُ الْحَدِّ فِي الْخَمْرِ٢/٨٢٤ رقم٢و«هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ» ينظر المستدرك على الصحيحين للحاكم (٤/ ٤١٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١ / ١٤): مقدمة الإمام مسلم رحمه الله ،باب في أن الإسناد من الدين وأن الرواية لا تكون إلا عن الثقات وأن جرح الرواة بما هو فيهم جائز بل واجب وأنه ليس من الغيبة المحرمة بل من الذب عن الشريعة المكرمة.

(٣) عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِينَ يَلُونِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» أخرجه مسلم في صحيحه كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ بَابُ فَضْلِ الصَّحَابَةِ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ. (٤/ ١٩٦٢) (٢٥٣٣).

(٤) نونية ابن القيم=الكافية الشافية (١ / ٢٥٥).





ثم بعد خير القرون ورثة الأنبياء العلماء الراسخون الثقات، والحمد لله أن الأمة لا تخلو من قائم لله بحجة، من الراسخين الذين ينفون عن السنة تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، فالزم مزاحمتهم بالركب.

ولذلك وضع العلماء ضوابط لمن يطلق عليه: (عالم) حيث أول شروطه العلم، والفهم، والعمل، ولقد جعل الإمام الشاطبي رحمه الله استحقاق العالِم أن يكون وريثاً للأنبياء منوطًا بمدى فقهه وفهمه وعمله، فقال:« فإذا بلغ الإنسان مبلغًا، فهم عن الشارع فيه قصده في كل مسألة من مسائل الشريعة، وفي كل باب من أبوابها فقد حصل له وصف هو السبب في تنزله منزلة الخليفة للنبي ﷺ في التعليم والفتيا والحكم بما أراه الله[1].

رابعاً: جمع الأحاديث الواردة في الباب الواحد.

السنة وحدة متكاملة يفسر بعضها بعضا فإذا أردنا الفهم الصحيح لها وتنزيلها تنزيلاً صحيحا فلابد من جمع الأحاديث الواردة في الباب الواحد أو الموضوع الواحد بحيث يرد المتشابه إلى المحكم، ويحمل المطلق على المقيد، ويفسر العام على الخاص، لأن الاكتفاء بحديث واحد دون النظر في الباقي يوقع في الانحراف والغلو، أو الجفاء والتفلت، ومثال ذلك أحاديث إسبال الثياب فالجمع يظهر الحكمة من المنع حيث البطر والخيلاء والكبر.

وللحديث بقية وصلى الله وسلم على خير البرية والحمد لله رب العالمين.



(١) الموافقات (٥ / ٤٣) للشاطبي المحقق: أبو عبيدة آل سلمان الناشر: دار ابن عفان الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.



النبي ﷺ قدوة إعلامية..

أ.م.د عبد الهادي محمود الزيدي
جامعة بغداد/ كلية العلوم الإسلامية

لا خلاف في موقع الرسول ﷺ كقدوة للبشرية جمعاء، بمجموعة من الأدلة النقلية والعقلية، فمن النقلية، قوله تعالى : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾[(١)]، والتي يقول المفسرون فيها: إنها خطاب (شامل لأصول الدين وفروعه، وظاهره وباطنه، وأن ما جاء به الرسول، يتعين على العباد الأخذ به وإتباعه، ولا تحل مخالفته، وأن نص الرسول على حكم الشيء، كنص الله تعالى، لا رخصة لأحد ولا عذر له في تركه، ولا يجوز تقديم قول أحد على قوله . ثم أمر بتقواه، التي بها عمارة القلوب والأرواح، والدنيا والآخرة، وبها السعادة الدائمة، والفوز العظيم، وبإضاعتها الشقاء الأبدي، والعذاب السرمدي)[(٢)].

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[(٣)].

ويوضح قوله تعالى آمرا نبيه الكريم ﷺ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[(٤)]، أن اتباعه والاقتداء به واجب على الناس كافة.

---

(١) سورة الحشر، آية ٧

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الله اللويحق، الرياض، بلا سنة طبع، ص ١٠٠٣.

(٣) سورة الأحزاب، آية ٢١

(٤) سورة الأعراف، آية ١٥٨







وفي السنة قوله ﷺ: (والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودياً ولا نصرانياً ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار)[١].

ومن العقلية إن الله تعالى أرسل الأنبياء مبشرين ومنذرين، فاتباعهم واجب لنيل الخلاص والنجاة من العقاب، ورسول الله ﷺ آخرهم، ودعوته خاتمة الدعوات فمن لم يؤمن به ولم يقتد به فقد انحرف عن الصواب[٢].

ولما كان الإسلام دينا عالميا والإعلام به ونشره واجب، فمن الوجوب الاقتداء بسنة نبيه-عليه الصلاة والسلام-، ولهذا لم يغفل الخطاب الإعلامي في الإسلام أهمية القدوة وعدها من أسس الخطاب والاتصال، وهي[٣]:

أولاً / خطاب القدوة: وهو أول خطاب يجب أن يوجه إلى الناس من أصحاب الدعوات وحملة الرسالات، ومن اتبعهم بإحسان، وإلا فسيبقى الناس في حاجة شديدة لهذا الخطاب، مما وجه إليهم من خطاب آخر، إن جمُل أو كمُل.

ثانياً / خطاب المجادلة: إن كانت بعض الفئات من البشر تفتح قلبها القدوة الحسنة فتسارع إلى الإيمان وتشهد بالتوحيد، فإن فئات أخرى تؤثر فيهم المجادلة بالحسنى، ويلزمهم الحوار بالتي هي أحسن؛ فتنقاد عقولهم إلى الحق لتسليم القلوب لله رب العالمين.

ثالثاً / خطاب المجاهدة: حال المناهضين للفطرة من أصحاب الجاه والسلطات والمال، أنهم لا يتركون الدعوة تمضي، ولا يخلون بين عامة الناس وبين اختيارهم بحرية، فيقفون في وجه الدعوة، يقاومون أهلها بكل وسيلة، ويمنعون الناس أن يختاروا، فعندئذ لابد من إزاحة هذه العوائق، فيتحول خطاب المسلم من الاقتناع والحوار إلى خطاب القوة، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، وبعد أن تزاح

---

(١) صحيح مسلم، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ، برقم: ٢٣٩.

(٢) د. محمد سيد المسير، نحو دستور إسلامي، القاهرة ١٩٩٥، ص ٢٤.

(٣) ينظر: فؤاد العاني، الصحافة الاسلامية ودورها في الدعوة،بيروت،١٩٩٣، ص ٨٣.



عوائق سماع الدعوة، وتزول الفتنة الواقعة أو المتوقعة عن الدين، يعود خطاب القدوة وخطاب المجادلة.

والاقتداء به ﷺ فرض على كل مسلم يعمل بالإعلام، (إذا تزود رجل الإعلام الإسلامي بصفة القدوة الحسنة فإنه سيحقق الكثير ويختصر الطريق ويوفر على نفسه جهودا كبيرة، لأنه يقوم بتزويد الناس بالحقائق السليمة والمعلومات الصحيحة)[١].

وتجمع الشواهد كافة أن خير من أحسّ بمسؤولية كونه قدوة للبشرية هو الرسول ﷺ إذ علّم أمته مبدأ المسؤولية الإعلامية، فقد أمره الله تعالى بتبليغ رسالة ربه للناس جميعا، وأن يحاج المكذبين والكفار، ويخاطب عقولهم انطلاقا من أدائه لمسؤوليته التي لها أسس وضوابط، حددها له الله تعالى، وأوجب عليه أن يعتمد في اتصاله بالناس على الحكمة والموعظة الحسنة، وأن يجادل الناس بالتي هي أحسن، وأن لا يسب الذين يدعون من دون الله، وأن يقول للناس حسنا، وهذه الحدود لحرية القول وللمسؤولية الإعلامية علمها الرسول ﷺ صحابته وحملهم إياها كما علمهم الصلاة، وبقية العبادات[٢].

ونقف هنا بإيجاز على أبرز ما يثبت مسؤوليته الإعلامية ﷺ في باب اتخاذه قدوة لكل زمان ومكان:

أ/ عمله ﷺ بمبدأ كون الإعلام والمعرفة حق لكل الناس، وهو ما يسمى في الإعلام بحق الاتصال، فنجد في سنته الشريفة تكافؤ الفرص والمساواة في أكمل صورها، مقررا أن الناس سواسية في الحقوق والمسؤوليات الإعلامية وغيرها، قال ﷺ[٣]: ((أيها

---

(١) تيسير الفتياني، مقومات رجل الاعلام الاسلامي، عمان، دار عمار، ١٩٨٧، ص ٦٦.

(٢) ينظر: سعيد بن علي ثابت، الجوانب الاعلامية في خطب النبي ﷺ وزارة الاوقاف السعودية، ١٤١٧هـ، ص ١٠١.

(٣) ينظر: د. رشدي ابو زيد، مسئولية الاعلام الاسلامي والنظام العالمي الجديد، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٢٨.




الناس: إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، ليس لعربي فضل على عجمي إلا بالتقوى، اللهم هل بلغت؟ اللهم أشهد)) أي لا فضل لأحدكم على الآخر بحسب عنصره وطبيعته، وإنما معيار التفاضل هو التقوى، وهي ثمرة العمل الصالح، وهكذا صان الإسلام مبدأ المساواة والعدل بين الجميع، ثم ترك الباب مفتوحاً أمام كل فرد، للتفاضل بجهده ونتاج عمله وثمرة سعيه وخبرته .

ب/ صدقه ﷺ والصدق سمة من سمات القرآن في الرسالة والدعوة الإسلامية، كما أنه سمة رسولنا الكريم محمد ﷺ رسولاً وداعية، وسمة المجتمع الإسلامي الأمين الحريص على الدعوة الإسلامية، كما أن الرسول ﷺ أُرسل للناس كافة بالحق مصدقاً لما بين يديه من سابق الرسالات الأخرى. فالإسلام منهج حياة متكامل، ونظرته الإعلامية تتوخى الصدق وتتحرى الحق سواء في الأخبار أو في السلوك، وحتى في النوايا، فلا بد من إخلاص النية لسلامة العمل(١).

ج/ واقعيته ﷺ والواقعية لا تستقر أحكامها ولا تضبط قواعدها إلا بملاحظة المصالح المطلقة، ولابد أن تكون بعيدة عن الأغراض والأهواء، والواقعية في الإعلام الإسلامي، هي إحدى الخصائص العامة للإسلام، أو إحدى خصائص الفقه الإسلامي الذي تنتمي إليه النظرة الإسلامية في الإعلام، ورؤية الواقع من المنظور الإسلامي، هي شرط مهم في الإعلام الإسلامي؛ وذلك لكي ينير الواقع ويقوم بتغييره، ليتطابق المجتمع في واقعه مع الإسلام ومنهجه(٢).

لقد كان الإسلام في عصر الرسول ﷺ يواجه تحديات مختلفة، وكان –عليه الصلاة والسلام- يستخدم الوسائل المتاحة له، فكانت الكعبة تستقبل كل عام مؤتمراً إسلامياً ضخماً، فكان يترقب الوفود من كل الطرق التي يدخلون منها ليبث فيهم

---

(١) د. محمد منير حجاب، الاعلام الاسلامي:المبادئ-النظرية-التطبيق، القاهرة،٢٠٠٢، ص ٤٥.

(٢) د تيسير الفتياني، مقومات رجل الاعلام الاسلامي، ،مصدر سابق، ص ٢٧٧.



الرسالة، وكان كذلك واقعيا مع مظاهر الشرك ومع سرية الدعوة ومخاطبة أصحاب النفوذ في مجتمعه[(١)].

د/ عالميته في الدعوة و إنسانيته ﷺ المستمدة من عالمية الإسلام ومخاطبته الإنسانية جمعاء، قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾[(٢)].

ويمثل هدي النبي ﷺ في الاتصال معيارا لعالمية الإعلام غير معيار القدرة على الانتشار، ألا وهو معيار الاهتمام بالإنسانية جمعاء انطلاقا من عالمية الإسلام، فقد جهر النبي ﷺ بالنذير العام منذ بداية دعوته، وبدأ ﷺ بالاتصال على المستوى الدولي منذ أيام الدعوة الأولى في عهدها المكي[(٣)]، فهو يخاطب المجتمع عامة بصورة معلنة واضحة جلية ولا يتخذ من سرية الخطاب وتخصيصه لفئة من الناس صفة له، وإصرار بعض الأديان وبعض الشرائح الأرضية على سرية خطابها واقتصاره على أتباعها فقط أو ربما فئة خاصة منهم لا يوجد في الدين الإسلامي[(٤)].

هـ/ إيمانه ﷺ بحرية المتلقي ومسؤوليته بتحمل ما يختار، وهو ما يندرج ضمن خصائص الإعلام الإسلامي بكونه إعلاماً من غير إكراه، قال تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[(٥)].

ولا ينكر مدى التلازم بين الحرية في الرؤية الإسلامية وبين المسؤولية الإعلامية، إذ الحرية في الإسلام ليست إلزامية مفروضة على الذات الإنسانية، وإنما هي تنبع من

---

(١) د. محمد سيد محمد، المسؤولية الاعلامية في الاسلام، القاهرة، ١٩٨٣، ص ٢٥٥.

(٢) سورة النحل، آية ١٢٥

(٣) سعيد بن علي ثابت، الجوانب الاعلامية في خطب النبي ﷺ، مصدر سابق، ص ٥١.

(٤) ينظر: د. إبراهيم إمام، أصول الإعلام الإسلامي، القاهرة، ١٩٨٥، ٤٩.

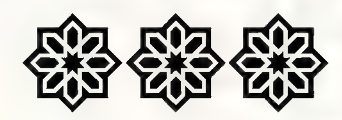
(٥) سورة البقرة: آية ٢٥٦



داخل الإنسان المؤمن، كما أن ضوابط المسؤولية لا تكون أمام سلطة أو قانون بشري وإنما تكون أمام الخالق جل جلاله، وأن أي نشاط فكري أو حوار أو نقد في الخطاب الإعلامي يجب أن يتمسك بالضوابط الإسلامية انطلاقا من قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [(١)]. وقد جعل النبي ﷺ من شروط المواطنة الحق للمسلم وانضمامه إلى الرعية الإسلامية قول الحق والمجاهرة به سعياً لإحقاقه في المجتمع[(٢)].

بل إن رسول الله ﷺ رأى ترك المسلم الإدلاء برأيه، إذا كان حقاً، امرأ محتقراً، فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: ((لا يحقّرن أحدكم نفسه، قالوا يا رسول الله، وكيف يحقر أحدنا نفسه، قال يرى أنه عليه مقالاً ثم لا يقول به، فيقول الله عز وجل يوم القيامة، ما منعك أن تقول في كذا وكذا، فيقول: خشية الناس، فيقول فإياي كنت أحق أن تخشى))[(٣)].

والحمد لله أولاً وآخراً.



(١) سورة الأحزاب، آية ٣٦

(٢) د. وليد البدري، الإعلام الإسلامي الواقع والطموح، مجموعة باحثين،عمان،٢٠٠٩، ص٣٣٨.

(٣) رواه ابن ماجة في كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حديث (٤٠٠٨).



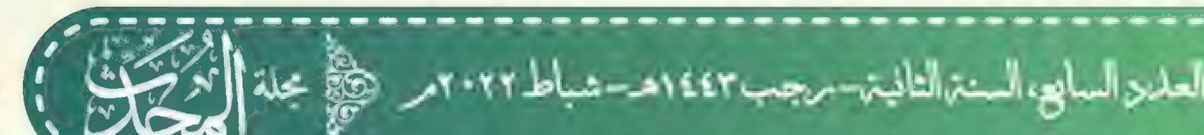
رد الاعتبار لطريقة أهل الحديث الأخيار

(ج١)

أ.د. عمر عيسى عمران
أستاذ العقيدة في كلية العلوم الإسلامية
الجامعة العراقية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد؛
فلا شكَّ أنَّ مَنْ يرومُ تحريرَ أمرٍ ما لا بُدَّ لَهُ أوَّلًا مِنْ تصوّرِهِ تصورًا دقيقًا يَرسمُ مِنْ خلالِهِ صورتَهُ في ذهنه قبل الحكم عليه خارجًا؛ فالتصوراتُ هي مبادئ التصديقات، وكما أنَّ التصديقات فيها البراهين؛ فإنَّ فيها أيضًا السفسطات وغيرها من الصناعات، ولكلٍّ منها مادةٌ قد تكون يقينية، أو مشهورة، أو مقبولة، أو وهمية، أو كاذبة، وكلٌّ بحسبِهِ كما هو معروف في علم الميزان- باب الصناعات الخمس، ومن هنا سنحاول إبراز وسطيّة أهلِ الحديث في التعاطي مع مرويات السُّنة وردّ الاعتبار لهم، ورفع الحيفِ عنهم.

ففي خضمِّ التخصص الذي لحق العلوم الإسلامية وتنوع مشارب أهل العلم المعرفية نجد ثمّةَ الأصوليين والفقهاء والمفسرين والمتكلمين والقراء والمؤرخين وكذا المحدثين، وقد احترم أصحاب كلِّ تخصصٍ تخصصَهُ، ولم يحاولوا أنْ يقفزوا فوق تلك التخصصات، ويقتحموها، أو يصادروا حقوق أهلها وقوانينهم فيها وضوابطهم لها، فللتأريخ متخصصوه ولهم فيه أحكامهم الخاصة في قبول الرواية من عدمه، وللقراءات أهلون ولهم أحكامهم الخاصة فيمن يسلك مسلكهم، وينحو وجهتهم، فلا يصح اسقاط أحكامِ أهلِ الحديث في رواتهم؛ فكم من عدول في القراءات ضعفاء في الحديث؛ وكم من مرويات في علم التفسير والمغازي وعلامات الساعة والملاحم التي ستقع ليس لها أصول موثوقة وفق أحكام أهل الحديث، مع أنها معتمدة عند أهل الصنعة أنفسهم، وفي هذا المعنى يروى عن عبد الملك الميموني قال: سمعت أحمد بن



حنبل يقول: " ثلاثة كتب ليس لها اصول المغازي والملاحم والتفسير " [١]، وما هذا الحكم إلَّا نتيجة فهمٍ دقيقٍ لأصول أهل الحديث، وأنَّهُ متى ما حوكمت تلك العلوم للمنهجية الصَّارمة الدقيقة عند أهل الحديث في تعاملهم مع مرويات الرسول الكريم ﷺ؛ فإنَّ تلك المرويات التفسيرية والتاريخية ونحوها ستكون ساقطة الاعتبار.

وقد فهم المتقدمون من أهل الحديث هذه الخصوصيات، وأشاروا إليها، ومع ذلك لم يطّرحوا تلك العلوم والمعارف، أو أسقطوا أحداثها ومروياتها بناء على أحكامهم الخاصة في علم الحديث، ولا حرَّمُوا تلك المصنفات التي لمَّا تزل منذ مئات السنين إلى يوم النَّاس هذا يقرأها المسلمون، ويتدارسونها، ويعظون النَّاس بها، وتؤلف على غرارها ومنهجها المؤلفات الكثيرة، كلُّ ذلك حرصًا من أهل الحديث على وحدة الصف المسلم وحماية المجتمع المسلم من لوثات التفرق والتشرذم المنهي عنها وصولًا إلى إحداث ثغرات في جدار البنيان المسلم يلج منها العدو الخارجي، ويا ليت الآخرين حفظوا لأهل الحديث هذا الصنيع، ولم يجازوهم في ذلك جزاء سنّمار[٢].

وهكذا استمر المختصون برهة من الزمن ينسجون على هذا المنوال مراعين الميزات العلمية والخصائص الفردية التي ينفرد بها أتباعُ كلِّ تخصصٍ، ولم يجترئ أحدٌ على أحد، ولا سطا أحدٌ على آخر، وبقي لأهل الحديث بسبب ذلك السطوة والصدارة والتفرد على باقي العلوم والمعارف وأهلها؛ فكانوا مرهوبي الجانب، ملوكًا على الأسرَّة، وأحكامهم جاريةً على الجميع صغيرهم وكبيرهم، يحتاجهم النَّاس، ولا يحتاجون غيرهم، وكلمتهم مسموعة في غيرهم، ولا كلمة لغيرهم عليهم؛ ينتسب النَّاس إليهم، ولا ينتسبون هم لغير الحديث والسُّنة، وليس لهم اسم يعرفون به غير أهل الحديث لا في الاعتقاد، ولا في السلوك، ولا في المنهج بينما غيرهم طرائق قددا؛ كيف لا وسلطانهم مستمدٌ من سلطان الرَّسول والسُّنة التي التصقوا بها، وذابوا فيها، فبقي هذا السلطان محفوظ الجانب لهم، وكم حاول الآخرون منازعتهم فيه بسلطة حاكم فما استطاعوا، وكم حاولوا التشنيع عليهم بقلّة الفهم وحقارة الرأي وسذاجة الفكر؛ فما تزلزلت

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي، ج٢/ص١٦٢

(٢) مثل يضرب حينما يجازى المحسن بالإساءة، بل القتل ! وللمثل قصة شهيرة تعرف في مظانها.



مكانتهم من الصدور، وبقي حالهم وصفتهم على هذا الحال وتلك الصفة حتى زاحمهم في صنعتهم فئتان لبسوا لبوسهم ظاهرًا، وتزيّوا بزيّهم وسَمتِهم، وحاولوا أن يتكلموا بألسنتهم، الفئة الأولى كانت **فئة المتكلمين** وهم أذكياء النّاس والمُقدَّمون منهم في مناظرة أهل الانحراف من فلاسفة وقرامطة وباطنية وجهمية.

وقد حاول هؤلاء المتكلمون الولوج في كلِّ علم، ووضع القواعد والضوابط، حالُهم في ذلك حال المختصين بها، فاقتحموا علم أصول الفقه؛ فصار هناك طريقة المتكلمين وطريقة الفقهاء، وولجوا علوم العربية والبلاغة؛ فصار ثمة أصحاب الطريقة الكلامية وأصحاب المعاني، وكذا في علم التفسير فعرفت التفاسير ذات المنحى الكلامي، وهكذا حاول هؤلاء المتكلمون اقتحام علم الحديث كغيره من العلوم؛ فتركوا أثرهم فيه ممَّا سوف نتعرض له ولأسبابه وغاياته وثمراته لاحقًا.

وأمَّا الفئة الثانية فهم **الفقهاء**، وهم حراس الشريعة والقائمون بتنظيم علاقات المسلم بأخيه المسلم وعلاقته بربِّه، وهي فئة حاولتْ أيضًا اقتحام بعض العلوم والمعارف، منها علوم التفسير والحديث النبوي الشريف؛ فتعاطوا مع السُّنة ومرويات الحديث، ووضعوا لهم قواعد وعلل كما صنع المحدثون في تواليفهم ومصنفاتهم، ولم تراع الفئتان أعني المتكلمين والفقهاء صنعة المحدثِيّن الخُلّص؛ بل نظرت الفئتان لعلم الحديث بأنَّه ليس حكرًا على المحدثيّن، وربّما حاول بعضهم نزع سلطانهم عليه، وشرعيتهم فيه؛ فوصفوهم بشتى الأوصاف المنفرة؛ كالحشوية والمُجَسِّمة وأهل الظاهر وصيادلة[١] بينما غيرهم أطباء وعقلاء ومنزهون وأهل معاني ليسوا قشورا...[٢]

---

(١) إطلاق الصيادلة على أهل الحديث تشنيع بهم، فهو لقب يطلق على من لا يفهم، كما فسره الإمام أبو يوسف لما سئل عن -الفقيه-الحسن بن زياد، فقال:" هو عندي كالصيدلاني إذا سأله رجل أنْ يعطيه ما يطلق بطنه أعطاه ما يمسكه" ولا شك أن هذا الاطلاق يختلف بحسب من أطلق عليه هذا القول فلا يصح تعميمه.

(٢) ينظر تفصيلا أكثر: التصنيف في مصطلح الحديث بين مدرستي الحديث والفقه، لأستاذنا الدكتور: أبو ذر عبد القادر بن مصطفى بن عبد الرزاق المحمدي: ص٦ وما بعدها. بترقيم المكتبة الشاملة الحديثة.





فراح بعض هؤلاء المتعصبين يحطُّ من قدر المحدثِّين؛ ليصلح عور رواية ما، أو يقوّم اعوجاج دليله في مسألة من المسائل، حتى قال قائلهم(١):

إنّ الرُواةَ على جَهْلٍ بما حَملوُا ... مثلُ الجِمَال عليهـــا يُحْمَل الوَدَعُ
لا الوَدْعُ يَنفَعهُ حَمْلُ الجمالِ له ... ولا الجمالُ بِحَمْل الوَدْع تنتفعُ

فانتهض بعض أهل الفضل للدفاع عن أئمّة الحديث، وعلى رأسهم أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي ت (٣٦٠هـ)؛ فصنّف كتابه (المحدث الفاصل بين الراوي والواعي) وهو من أنفس الكتب التي صنفت في بابها، قال الذهبي: "وما أحسنه من كتاب!"(٢)، وقد بيَّنَ سبب تأليفه؛ فقال في أوّل سطر منه بعد حمد الله تعالى:

"اعترضت طائفة ممن يشنأ الحديث ويبغض أهله، فقالوا بتنقص أصحاب الحديث والإزراء بهم، وأسرفوا في ذمهم والتقول عليهم، وقد شرف الله الحديث وفضل أهله، وأعلى منزلته... وقد كان بعض شيوخ العلم ممَّن جلس مجلس الرياسة واستحقها لعلمه وفضله، لحقه بمدينة السلام من أهل الحديث جفاء، قلق عنده، وغمه ما شاهد من عقد المجالس ونصب المنابر لغيره، وتكاثف الناس في مجلس من لا يدانيه في علمه ومحله، فعرّض بأصحاب الحديث في كلام له، يفتتح به بعض ما صنف ... "

وبنحوه قال الخطيب في مقدمة كتابه الكفاية:

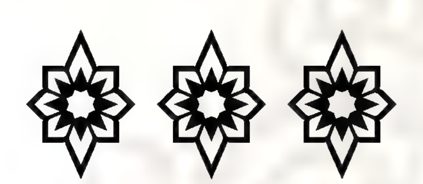
"قد استفرغت طائفة من أهل زماننا وسعها في كتب الأحاديث والمثابرة على جمعها من غير أن يسلكوا مسلك المتقدمين، وينظروا نظر السلف الماضين في حال الراوي والمروي، وتمييز سبيل المرذول والرضي، واستنباط ما في السنن من الأحكام، وإثارة المستودع فيها من الفقه بالحلال والحرام، بل قنعوا من الحديث باسمه، واقتصروا على كتبه في الصحف ورسمه، فهم أغمار، وحملة أسفار... فجرَّ هذا

---

(١) أورده ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ٢/ ١٠٣٢،والطبقات السنية في تراجم الحنفية، الغزي ٣٨.
(٢) سير أعلام النبلاء ١٦/ ٧٢

الفعلُ منهم الوقيعة في سلف العلماء، وسهل طريق الطعن عليهم لأهل البدع والأهواء، حتى ذمَّ الحديث وأهله بعض من ارتسم بالفتوى في الدين .. "(١)

وهو ما سوف نسلط الضوء عليه لاحقا... يتبع



(١) الكفاية ص٣ - ٤




طعون في حديث اجتهاد الرسول ﷺ

بقلم: عبد الحكيم خلفي
أستاذ التربية الإسلامية السلك الثاني - المغرب

لقد أنبأنا رسول الله ﷺ عن الجهات الثلاث التي ستهاجَم من خلالها السنة النبوية، حيث قال: «يَحمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَ انْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ»(١)، وهي الجهات التي عدها يوسف القرضاوي معاول تمثل خطراً على الميراث النبوي، فتحريف أهل الغلو هو ضد وسطية الإسلام وسماحته ويسر شريعته، وانتحال أهل الباطل هو إلصاق بالمنهج النبوي ما ليس فيه من المحدثات والمبتدعات، وتأويل أهل الجهل هو سوء تأويل وتحريف للكلم عن مواضعه(٢).

وقد كثر الطاعنون -في زماننا هذا- في أحاديث رسول الله ﷺ، خاصة الأحاديث الواردة في كتاب صحيح البخاري، الذي كثرت فيه كتابات المشككين، وتأويلات الجاهلين، ونجد من أبرز البواعث التي حملت هؤلاء على هذه الكتابات، متعلقة إما بفساد النية والقصد، أو باتباع هوى النفس، أو بالانسياق وراء سراب شبهة من الشبهات، وهي بواعث تنحرف معها الأفهام، وتزل بها الأقلام، وينتج عنها تأويلات فاسدة، تدل على جهل متأوليها، ومن نماذج هذه الكتابات، كتاب "كشف المتواري في صحيح البخاري" لصاحبه محمد جواد خليل، الذي أنفق جهده -سدى- في سبيل النيل من ما جاء في صحيح البخاري من أحاديث.

(١) جامع المسانيد لابن كثير الدمشقي، ٦٨/١. ومفتاح دار السعادة لابن قيم الجوزية، ص: ٤٨.
(٢) انظر: كيف نتعامل مع السنة النبوية معالم وضوابط ليوسف القرضاوي، الصفحات: ٢٨-٢٩-٣٠.



ولما كان مقامنا هذا يتعسر معه الرد على كل الطعون التي ضمنها كتابه المذكور، فإني سأكتفي بالطعون التي وجهها "خليل" لحديث اجتهاد رسول الله ﷺ، وهو الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه، فعن أم سلمة رضي الله عنها، عن رسول الله ﷺ: "أنه سمع خصومة بباب حجرته، فخرج إليهم فقال: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنَّهُ يَأْتِينِي الْخَصْمُ، فَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَبْلَغَ مِنْ بَعْضٍ، فَأَحْسِبُ أَنَّهُ صَدَقَ، فَأَقْضِيَ لَهُ بِذَلِكَ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ مُسْلِمٍ، فَإِنَّمَا هِيَ قِطْعَةٌ مِنَ النَّارِ، فَلْيَأْخُذْهَا أَوْ فَلْيَتْرُكْهَا»" (١)

وجه الطعن ومنشأه:

أولاً: بيان وجه الطعن الذي أورده محمد جواد خليل:

بعدما ساق "خليل" الحديث المطعون فيه من قِبله، وأورد الأبواب التي يوجد بها من صحيح البخاري قال: "أقول: هل نقول ما تردده العامة، من أن من اجتهد فأصاب فله أجران ومن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد؟

إن أنبياء الله لا يجوز عليهم الحكم بمجرد الاجتهاد، ولا يجوز عليهم الخطأ والزلل فيما يحكمون ويجتهدون فيه، ولو جاز ذلك لجاز لغيرهم أيضا من المجتهدين أن يعارضوهم فيما يحكمون ويناقشوهم في ذلك الحكم. فالرسول ﷺ معصوم عن الخطأ

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب إثم من خاصم في باطل، وهو يعلمه، رقم الحديث: ٢٤٥٨. ٣/١٣١. انظر أيضا: كتاب الحيل، باب إذا غصب جارية فزعم أنها ماتت.. رقم الحديث: ٩/٢٥،٦٩٦٧ . وكتاب الأحكام، باب موعظة الإمام للخصوم، رقم الحديث: ٩/٦٩،٧١٦٨ . وباب من قضي له بحق أخيه فلا يأخذه، فإن قضاء الحاكم لا يحل حراما ولا يحرم حلالا رقم الحديث: ٩/٧٢،٧١٨١ . وباب القضاء في قليل المال وكثيره سواء رقم الحديث: ٩/٧٣. ٧١٨٤. وصحيح مسلم، كتاب الأقضية، باب الحكم بالظاهر، واللحن بالحجة، رقم الحديث: ٣/١٣٣٧. ١٧١٣.



في كل ما يتعلق بالقضاء والحكم، بل وفي جميع الأمور، سواء الاجتماعية أو السياسية وما أشبه: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾(١) ".(٢)

ويقول أيضا في الجزء الثالث من نفس الكتاب: "أليس من المحتمل أن يكون الشخص المُشتَكِي والظالم لأخيه المشتكى عليه أبلغ في البيان من صاحبه؟ وكذلك أن يكون في اعتقاده ويقينه بأنه على الحق مثلا؟. فإذا قضى النبي الأكرم له بذلك وهو في اعتقاده أنه محق فيما قضى له، فلماذا تكون عليه حسرة يوم القيامة؟ ولماذا تكون عليه قطعة من النار؟.

ثم أليس من المحتمل أيضا أن الشخص الآخر الذي ظُلم في هذه القضية والذي ليس له بلاغة في الكلام ولا في البيان أن تحصل لديه ردة فعل بسبب ما صدر عليه من حكم ليقينه بأنه مظلوم؟.

ونحن على يقين بأن النبي ﷺ أعلم من الإمام علي عليه السلام وهذا لا مناقشة فيه ولا جدال وهو اعتقادنا. وقول الإمام علي عليه السلام على المنبر: (سلوني قبل أن تفقدوني) يعني بذلك في العلوم والاقتصاد والسياسة والفقه وغيرها، وكذلك في القضاء. ومن يقول ذلك لابد وأن يكون مسدداً من قبل الله تعالى وعالما بعلوم الأولين والآخرين وإلا لما تجرأ على قول ذلك. فكيف بالنبي الأكرم كما يدعي أهل العامة أنه من المحتمل أن يخطئ في الحكم؟.

إننا لم نقرأ في الكتب ولم نسمع بأن الرسول ﷺ أخطأ في حكم ما. فهل هذه الرواية وضعتها الأيدي الخبيثة اليهودية ليساووا بين نبينا ﷺ وبين النبي داود عليه السلام؟ قال تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ...﴾(٣) "(٤).

---

(١) المائدة: ٤٥

(٢) كشف المتواري في صحيح البخاري، لمحمد جواد خليل، ٣٨٥-١/٣٨٤.

(٣) ص: ٢١-٢٦

(٤) كشف المتواري في صحيح البخاري، ٣/٣٣٧.

ثانياً: تحرير منشأ هذا الطعن:

إن ما حمل محمد جواد خليل إلى إنكار جواز حكم النبي ﷺ باجتهاده، ثم إنكار احتمال الخطأ فيما يحكم به ويجتهد فيه، هو القول باعتقاد العصمة المطلقة للأنبياء، والتي تشمل التبليغ، وتشمل الأمور التي تصدر عنه ﷺ باعتباره بشراً؛ كالخطأ والنسيان والسهو وغيرها.. ويُسَوُّون بهذا الاعتقاد بين الأنبياء وأئمتهم، إذ لا فرق بينهم في القول بعصمتهم أيضا، فيذكر "المجلسي" في بحار الأنوار أن اعتقادهم في الأنبياء والرسل والملائكة والأئمة أنهم معصومون مطهرون من كل دنس، وأنهم لا يذنبون ذنبا صغيرا ولا كبيرا، وأنهم موصوفون بالكمال والعلم، وأنهم لا يوصفون بنقص ولا جهل(١). ويقول صاحب عقائد الإمامية: "ونعتقد أن الإمام كالنبي يجب أن يكون معصوماً من جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن، من سن الطفولة إلى الموت، عمدا وسهوا. كما يجب أن يكون معصوماً من السهو والخطأ والنسيان" (٢).

وفي المقابل نجد مَن يذهب مِن متقدميهم إلى خلاف ما ذهب إليه متأخروهم – وإن لم يُلتفت إلى مذهبهم هذا- كابن بابويه القمي الذي أجاز السهو في حق النبي ﷺ، وأغلظ القول فيمن يقول بخلافه، فيقول: "إن الغلاة والمفوِّضة -لعنهم الله- ينكرون سهو النبي ﷺ ويقولون: لو جاز أن يسهو عليه السلام في الصلاة لجاز أن يسهو في التبليغ،... وليس سهو النبي كسهونا، لأن سهوه من الله عز وجل، وإنما أسهاه الله ليعلم أنه بشر مخلوق، فلا يُتخذ ربا معبودا دونه، وليُعلَم الناس بسهوه حكم السهو متى سهو"(٣).

إذا عُلم هذا، عُلم أن سبب نفي الاجتهاد عن النبي ﷺ عائد إلى عقيدة العصمة التي يؤمن بها الشيعة الإمامية في الأنبياء وفي أئمتهم، لذا اعتبروا علمهم علما كاملا، وأنهم لا يتصفون بنقص ولا جهل، وهو ما حاول محمد جواد خليل أن يثبته للإمام

(١) انظر بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، لمحمد باقر المجلسي، ١٧/٩٦. بتصرف.
(٢) عقائد الإمامية لمحمد رضا المظفر، ص: ٥٦.
(٣) من لا يحضره الفقيه، لأبي جعفر محمد ابن بابويه القمي، ٢٥٠-١/٢٤٩.



علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، لكن ما لبث أن نقض غزله بنفسه، فهو من جهة يرى أن النبي ﷺ أعلم من علي رضي الله عنه دون نقاش، الأمر الذي يعني أن عليا أقل علما من نبينا ﷺ، ثم بعدها يستشهد بمقولة علي وهو على المنبر: (سلوني قبل أن تفقدوني)، فاعتبر أن من يقول ذلك لابد وأن يكون مسددا من قبل الله تعالى، وعالما بعلوم الأولين والآخرين[١].

ونحن نتساءل: كيف يستقيم ويجتمع الأمران؟؛ كونُ علي أقلّ علماً من النبي ﷺ، وكونه عالماً بعلوم الأولين والآخرين؟ فكيف يُميّز "خليل" في الأولى بين عِلمَيْهما، ويُسوّي في الثانية بينهما؟ فإن كان رسول الله ﷺ أعلم من علي، فهو إذن من حاز علوم الأولين والآخرين، فيكون بذلك عليّ أقل منه علماً، وإن كان علي عالماً بعلوم الأولين والآخرين -كما زعم- فإن علمه إذن مساوٍ لعلم النبي ﷺ.

إن كل ما أتى به "خليل" -ومن اعتقد عقيدته- مخالف لصريح القرآن الكريم، الذي ينسب العلم المطلق لله تعالى وحده، أما الأنبياء فإنهم يعلمون من أمور الدنيا والآخرة ما علمهم ربهم، وما خص به بعضهم على بعض، والآيات في ذلك كثيرة، منها قوله سبحانه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ...﴾[٢]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ..﴾[٣]، وقوله سبحانه: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا﴾[٤]، وقوله سبحانه: ﴿فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ ..﴾[٥]، وقوله سبحانه: ﴿وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ﴾[٦]، وقوله سبحانه: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ ...﴾[٧]، وغيرها

(١) انظر كشف المتواري في صحيح البخاري، ٣/٣٣٧.
(٢) يوسف: ٦٨
(٣) يس: ٦٩
(٤) الكهف: ٦٦
(٥) الأنبياء: ٧٩
(٦) الأنبياء: ٨٠
(٧) النمل: ١٦



من الآيات التي تدحض ما ذهب إليه "خليل" من اعتقاد علم الأنبياء بعلوم الأولين والآخرين، والتي تبين اختصاص بعض الأنبياء ببعض العلوم مع اختلاف أحوالهم في ذلك، ولعلنا نكتفي هنا بما أورده القاضي عياض في "الشفا" بعد ذكره لما حوته صدور الأنبياء من علم ومعرفة بأمور الدين والدنيا، حيث يقول: "إلا أن أحوالهم في هذه المعارف تختلف، فأما ما تعلق منها بأمر الدنيا فلا يشترط في حق الأنبياء العصمة من عدم معرفة الأنبياء ببعضها، أو اعتقادها على خلاف ما هي عليه، ولا وصم عليهم فيه، إذ هممهم متعلقة بالآخرة وأنبائها، وأمر الشريعة وقوانينها، وأمور الدنيا تضادها، بخلاف غيرهم من أهل الدنيا الذين ﴿يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ﴾[١]".

بين عصمة الأنبياء وبشريتهم:

أولاً: العصمة الوظيفية:

إنْ تعددت تعاريف العلماء لمفهوم عصمة الأنبياء واختلفت فيما بينها، فإنها تجتمع في معنى تنزيه الله تعالى وحفظه لهم من الوقوع في الذنوب سواء قبل البعثة أم بعدها[٢]، وقد بين الشيخ محمد عبده لوازم الاعتقاد بعصمة الأنبياء فقال: "ومن لوازم ذلك بالضرورة وجوب الاعتقاد بعلو فطرتهم وصحة عقولهم وصدقهم في أقوالهم وأمانتهم في تبليغ ما عهد إليهم أن يبلغوه، وعصمتهم من كل ما يشوه السيرة البشرية وسلامة أبدانهم مما تنبوا عنه الأبصار وتنفر منه الأذواق السليمة، وأنهم منزهون عما يضاد شيئا من هذه الصفات المتقدمة"[٣].

---

(١) الروم: ٧

(٢) آيات عتاب المصطفى ﷺ في ضوء العصمة والاجتهاد، للدكتور عويد بن عيَّاد بن عايد المطرَفي، ص: ٣٧.

(٣) رسالة التوحيد، لمحمد عبده، ص: ٤٥-٤٤.





والنبي ﷺ مؤيد بهذه العصمة كما سائر الأنبياء، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ، لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾[2]، وقوله سبحانه: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[3] ، وغيرها من الآيات الدالة على أنه ﷺ معصوم من الله في أداء وظيفته التبليغية، فلا يخطأ في تبليغه وإخباره عن ربه، ولا ينسى إلا ما أراد الله أن ينسخه، قال تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ، إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾ [4].

ثانياً: العصمة البشرية:

تؤكد مجموعة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على بشرية الأنبياء عليهم السلام وبشرية النبي ﷺ، وهذا كقوله تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[6] ، وقوله تعالى: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾[7].

ومن الأحاديث المؤكدة على هذه البشرية أيضا، قوله ﷺ: «.. إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ، أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ، فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي..»[8] ، وقوله ﷺ في قصة تأبير النخل: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ. إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دِينِكُمْ فَخُذُوا بِهِ. وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ رَأْيٍ. فإنما أن

---

(١) النجم: ٣-٤

(٢) الحاقة: ٤٤ – ٤٦

(٣) النساء: ٨٠

(٤) الأعلى: ٦-٧

(٥) إبراهيم: ١١

(٦) الكهف: ١١٠، وفصلت: ٦

(٧) سورة الإسراء: ٩٣

(٨) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب التوجه نحو القبلة حيث كان، رقم الحديث: ١/٨٩ .٤٠١. وصحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب السهو في الصلاة والسجود له، رقم الحديث:..١/٤٠٠ .٥٧٢

بَشَرٌ»[١]، وقوله ﷺ: «.. إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، أَرْضَى كَمَا يَرْضَى الْبَشَرُ، وَأَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ..»[٢]، وقوله: «اللَّهُمَّ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، فَأَيُّ الْمُسْلِمِينَ لَعَنْتُهُ، أَوْ سَبَبْتُهُ فَاجْعَلْهُ لَهُ زَكَاةً وَأَجْراً»[٣]، وقوله: «.. أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ! فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ..»[٤].

فهذه البشرية التي لا تتعلق بالجانب الوظيفي التبليغي للأنبياء، يَصدق عليها ما يصدق على باقي البشر، غير أنها بشرية معصومة عن الكبائر دون الصغائر التي يمكن أن تقع منهم، وهو قول أكثر علماء الإسلام كما قال ابن تيمية في الفتاوى[٥]، ثم إن وقعت منهم فإنهم يعصمون منها بالبيان والتصويب من الله، ولا يتركون عليها، ومن يتتبع قصص الأنبياء في القرآن الكريم من آدم عليه السلام، إلى محمد ﷺ، وَضُح له هذا وبان.

يقول محمد عبده بعدما ذكر لوازم الاعتقاد بعصمة الأنبياء: "أما فيما عدا ذلك فهم بشر، يعتريهم ما يعتري سائر أفراده، يأكلون ويشربون، وينامون ويسهون وينسون، فيما لا علاقة له بتبليغ الأحكام، ويمرضون، وتمتد إليهم أيدي الظلمة، وينالهم الاضطهاد، وقد يُقتلون"[٦].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعا، دون ما ذكره ﷺ من معايش الدنيا، على سبيل الرأي، رقم الحديث: ٤/١٨٣٥. ٢٣٦٢.

(٢) صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب، باب من لعنه النبي ﷺ، أو سبه، أو دعا عليه، وليس هو أهلا لذلك، كان له زكاة وأجرا ورحمة، رقم الحديث: ٤/٢٠٠٩. ٢٦٠٣.

(٣) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب من لعنه النبي ﷺ، أو سبه، أو دعا عليه، وليس هو أهلا لذلك، كان له زكاة وأجرا ورحمة، رقم الحديث: ٤/٢٠٠٧. ٢٦٠٠.

(٤) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب م فضائل علي بن أبي طالب ﷺ، رقم الحديث: ٤/١٨٧٣. ٢٤٠٨.

(٥) انظر: مجموع الفتاوى، لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ٤/٣١٩.

(٦) رسالة التوحيد، لمحمد عبده، ص: ٤٥.




ثالثاً: العصمة في اجتهاداتهم عليهم السلام:

يقول محمد جواد خليل: "إن أنبياء الله لا يجوز عليهم الحكم بمجرد الاجتهاد، ولا يجوز عليهم الخطأ والزلل فيما يحكمون ويجتهدون فيه، ولو جاز ذلك لجاز لغيرهم أيضا من المجتهدين أن يعارضوهم فيما يحكمون ويناقشوهم في ذلك الحكم. فالرسول ﷺ معصوم عن الخطأ في كل ما يتعلق بالقضاء والحكم، بل وفي جميع الأمور، سواء الاجتماعية أو السياسية وما أشبه"[(١)]. ويقول أيضا: "إننا لم نقرأ في الكتب ولم نسمع بأن الرسول ﷺ أخطأ في حكم ما"[(٢)].

وهكذا نجده مرة أخر يعقد العقدة وينفث فيها، ثم ينقضها بما يليها من كلام، فهو من جهة ينفي أن يحكم الأنبياءُ بمجرد الاجتهاد، ثم من جهة أخرى يثبت لهم الاجتهاد، غير أنه ينفي عن هذا الاجتهاد الذي أثبته أن يكون فيه خطأ أو زلل.

إن قوله بعدم جواز الحكم باجتهادهم، وعدم جواز الخطأ والزلل فيما يحكمون ويجتهدون، تَرُدّه نصوص الكتاب الصريحة، ونصوص السنة الصحيحة، ومن ذلك اجتهاد داود وسليمان عليهما السلام، قال تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَـٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَـٰهِدِينَ، فَفَهَّمۡنَـٰهَا سُلَيۡمَـٰنَۚ﴾[(٣)]، وقد بين الله الحق لسليمان عليه السلام. ومن ذلك اجتهاد النبي ﷺ في أسرى بدر[(٤)]، واستشارته لأصحابه فيهم، حيث رأى رأي أبي بكر الصديق بأن يأخذ منهم الفدية، ولم يأخذ برأي عمر الذي أشار عليه بضرب أعناقهم، فأنزل الله تعالى يعاتب نبيه ﷺ، ويبين له الصواب والأولى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ

---

(١) كشف المتواري في صحيح البخاري، ١/٣٨٤.

(٢) كشف المتواري في صحيح البخاري، ٣/٣٣٧.

(٣) الأنبياء: ٧٨-٧٩

(٤) انظر صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، وإباحة الغنائم، رقم الحديث: ٣/١٣٨٣. ١٧٦٣.

﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾[١]، وغيرها من النصوص الدالة على اجتهاده ﷺ واجتهاد الأنبياء عليهم السلام، والتي لا يتسع المقام لسوقها..

يقول محمد عمارة رحمه الله: "أما اجتهادات الرسول ﷺ فيما لا وحي فيه، والتي هي ثمرة لإعماله لعقله وقدراته وملكاته البشرية، فقد كانت تصادف الصواب والأولى، كما كان يجوز عليها غير ذلك.. ومن هنا رأينا كيف كان الصحابة، رضوان الله عليهم في كثير من المواطن وبإزاء كثير من مواقف وقرارات وآراء واجتهادات الرسول ﷺ يسألونه -قبل الإدلاء بمساهماتهم في الرأي- هذا السؤال الذي شاع في السنة والسيرة: (يا رسول الله، أهو وحي؟ أم الرأي والمشورة؟..) فإن قال: إنه الوحي، كان منهم السمع والطاعة له، لأن طاعته هنا هي طاعة لله،... وأما إن قال لهم الرسول -جواباً عن سؤالهم-: إنه الرأي والمشورة.. فإنهم يجتهدون، ويشيرون، ويصوبون،... ووقائع نزوله عن اجتهاده إلى اجتهادات الصحابة كثيرة ومتناثرة في كتب السنة ومصادر السيرة النبوية"[٢].

إن اجتهاد النبي ﷺ ومن سبقه من الأنبياء والرسل، اجتهاد معصوم من حيث إنه يصيب الحق ابتداء، أو من حيث إنه إن أخطأ هُدي إلى الحق من الله تعالى بنزول الوحي عليه، وأكثر العلماء متفقون على جواز الخطأ منه فيما لم ينزل فيه وحي، ومتفقون على عدم جواز تقريره على ذلك الخطأ، وقد سها ﷺ في صلاته حتى ذُكِّر بها ونبه عليها[٣]، وفي هذا يقول الشاطبي رحمه الله: "فاعلم أن النبي ﷺ مؤيد بالعصمة، معضود بالمعجزة الدالة على صدق ما قال وصحة ما بين، وأنت ترى الاجتهاد الصادر منه معصوما بلا خلاف؛ إما بأنه لا يخطئ ألبته، وإما بأنه لا يقر على خطأ إن فرض؛ فما ظنك بغير ذلك؟"[٤].

---

(١) سورة الإنفال: ٦٧

(٢) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، لمجموعة من المؤلفين، ص: ٣١٨-٣١٧

(٣) انظر: أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري) لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، ٢٢٥-١/٢٢٤.

(٤) الموافقات للإمام الشاطبي، ٤/٤٧٠.



وأما قول محمد جواد خليل: "ولو جاز ذلك لجاز لغيرهم أيضا من المجتهدين أن يعارضوهم فيما يحكمون ويناقشوهم في ذلك الحكم." فيجيب عنه قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا﴾(١) ، فإن كان وحيا من عند الله، فليس لأحد أن يعقب عليه، وإن كان رأيا، فإن الله أمر نبيه بأن يستشير أصحابه ويشركهم في رأيه، قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾(٢) ، وقد امتثل ﷺ لهذا الأمر وشاور أصحابه ونساءه، وأخذ برأيهم في مناسبات كثيرة، و "الأمر بالمشاورة أمر له بالاجتهاد لاستظهار آراء من معه من المؤمنين، ليختار منها باجتهاده ما يراه ﷺ موافقاً للمصلحة، وهذا هو الاجتهاد المطلوب"(٣).

ثم وجب التنبيه إلى الفرق بين اجتهاده ﷺ وبين اجتهاد غيره من المجتهدين: فاجتهاده إن وافق مراد الله تعالى كان كما أخبر به وحكم به، وإن لم يوافق مراده سبحانه أوحى الله إليه بالتصحيح والتوضيح، فلا يُقر على خطأ، ومن هنا فهو حجة في الدين ويحرم مخالفته، وليس كذلك اجتهاد علماء أمته(٤).

أما قول "خليل": "إننا لم نقرأ في الكتب ولم نسمع بأن الرسول ﷺ، أخطأ في حكم ما"(٥). فإن كان الأمر كما زعم، فهو اعتراف منه بجهله بما جاء في كتاب الله تعالى وسنة نبينا ﷺ، من الآيات والأحاديث التي تُفصح عن أخذه بالاجتهاد، وإرشاد الله تعالى له في مواقف عديدة، وبيانه للحكم الأولى، بل ومعاتبته له في بعض الأحيان، قال تعالى:

---

(١) الأحزاب: ٣٦

(٢) آل عمران: ١٥٩

(٣) رد شبهات حول عصمة النبي ﷺ في ضوء السنة النبوية الشريفة، لعماد السيد محمد إسماعيل الشربيني، ص: ٥٧٨.

(٤) انظر: رد شبهات حول عصمة النبي ﷺ في ضوء السنة النبوية الشريفة، لعماد السيد، ص: ٥٧٧.

(٥) كشف المتواري في صحيح البخاري، ٣/٣٣٧.

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ، أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ..﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ﴾(٣)، ولعل هذه الآيات، وما ذكرته آنفا من آيات وأحاديث، تزيل شيئا من هذا الجهل.

ثم ينتقل "خليل" ليعتمد في الطعن في الحديث على نظرية المؤامرة، ويتساءل: "هل هذه الرواية وضعتها الأيدي الخبيثة اليهودية ليساووا بين نبينا وبين النبي داود عليه السلام؟"(٤).

ونحن نتساءل: على أي أساس بنى "خليل" هذا الاتهام؟ هل وجد في سند هذه الرواية المتصلة من محمد بن إسماعيل البخاري إلى رسول الله ﷺ راويا يهوديا؟ أم هي أطياف وهمٍ حامت في الذهن فتفتقت عن هذا الباطل؟.

إن هذا التساؤل الذي طرحه "خليل" ينقض ما عقده في سابق كلامه؛ حين اعتبر أن الأنبياء كلهم معصومون، وهو تساؤل ينطوي على اعتراف ضمني منه أن داود عليه السلام لم يصب الأولى في حكمه، لذا نجده ينكر التسوية بين نبينا ﷺ وبين داود عليه السلام في اجتهاده، ويخشى أن يُساوَى فيه بنبيّنا ﷺ فَيُنسَب إليه عدم حكمه بالأولى كما نُسب ذلك إلى داود عليه السلام.

ويسوق "خليل" في الجزء الثالث من كتابه، مجموعة من الشبهات التي جاءت في صورة احتمالات، وهذا للتشكيك في الحديث، فيقول: "أليس من المحتمل أن يكون الشخص المُشتَكِي والظالم لأخيه المشتكى عليه أبلغ في البيان من صاحبه؟ وكذلك أن يكون في اعتقاده ويقينه بأنه على الحق مثلا؟ فإذا قضى النبي الأكرم له بذلك وهو في

---

(١) عبس: ١-٢
(٢) التحريم: ١
(٣) التوبة: ٤٣
(٤) كشف المتواري في صحيح البخاري، ٣/٣٣٧





اعتقاده أنه محق فيما قضى له، فلماذا تكون عليه حسرة يوم القيامة؟ ولماذا تكون عليه قطعة من النار؟

ثم أليس من المحتمل أيضا أن الشخص الآخر الذي ظُلم في هذه القضية والذي ليس له بلاغة في الكلام ولا في البيان أن تحصل لديه ردة فعل بسبب ما صدر عليه من حكم ليقينه بأنه مظلوم؟"[1].

وهي -كما يظهر للقارئ- احتمالات واهية، ومغالطات ساذجة، لا ترقى إلى أن يُردّ بها حديث صحيح ثابت متصل، لا يخالف عقلا ولا نقلا؟ وبيان زيف هذه الاحتمالات والمغالطات فيما يلي:

أولاً: إن رسول الله ﷺ ساق هذا الحديث فيمن يلحن في كلامه ليقتطع به حق مسلم ظلما، وهو يعلم أنه ظالم غاصب، وأن ما يريد أخذه من حق ليس له فيه نصيب، وهذا ما أشار إليه البخاري في ترجمته للباب، إذ أورد الحديث في "كتاب المظالم والغصب، باب من خاصم في باطل، وهو يَعلمه"، ولو التفت "خليل" إلى ترجمة الباب لكفى نفسه عناء توليد الاحتمالات. وكذلك أورده في "كتاب الأحكام، باب من قضي له بحق أخيه فلا يأخذه، فإن قضاء الحاكم لا يحل حراما ولا يحرم حلالا"، وفي هذا دلالة واضحة بعلم الظالم بظلمه.

ثانياً: إن رسول الله ﷺ أراد أن يعظ الخصمان قبل الشروع في الحكم في المسألة المتنازع فيها، وأن يُذكّرهما، ويُذكّر عبرهما المسلمين في كل زمان ومكان بخطورة اقتطاع حق الغير دون وجه حق، وهذا ما أشار إليه البخاري في ترجمته للباب إذ أورد الحديث في "كتاب الأحكام، باب موعظة الإمام للخصوم".

ثالثاً: إن ما يحكم به رسول الله ﷺ عدل وصواب إن وافق مراد الله تعالى، أما إن حكم وجانب الصواب، أوحى الله تعالى إليه ليصوب حكمه ويرشده إلى الأولى، فالنبي

---

(١) كشف المتواري في صحيح البخاري، ٣٣٧-٣٣٦/٣.





ﷺ معصوم من الله عز وجل أن يقع في خطأ ولا ينبَّه عليه أو لا يهدى إلى الصواب.. ثم بعد هذا، أي ردة فعل يمكن أن تصدر من مسلم حكم في مسألته رسول الله ﷺ؟.

خاتمة:

يتبين من خلال ما سبق أن الحديث الذي حاول محمد جواد خليل الطعن فيه، يُثَبِّته ويُقَوّيه -بالإضافة إلى قوة سنده وصحته- ما جاء في القرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة، من اجتهادات الأنبياء عموما، واجتهادات النبي ﷺ خصوصا، وهي اجتهادات قد يُصِيبون فيها الحق وقد يخطئون، لأنهم بشر، وليس ذلك ذنب يؤاخذون عليه، ولا ذلك يتنافى وعصمتهم، لأن الله تعالى قد عصمهم من أن يستمروا في الخطأ، فينزل الوحي لبيان الحكم الصواب، وليس هذا إلا للأنبياء.

وقد بينا أنَّ القول ببشرية النبي ﷺ لا ينافي عصمته التي خصه الله بها، فهي ملازمة لنبوته، ولوظيفته التبليغية، غير أنها قد تفارق بشريته حين يقضي ويحكم في أمور اجتهادية، فإن هو أصاب كان ذلك وحيا وشرعا، وإلا عُصم من الخطأ ولم يقر عليه بإرشاد الله له وتصويب حكمه، وصدورُ الخطأ منه ﷺ دليل على أنه قام بأداء وظيفته التبليغية على أكمل وجه، فهو لم يُخْفِ ما نزل من آيات في عتابه بسبب ما حكم به من حكم، أو أخذ به من رأي.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

***



ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١) أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري) لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، تحقيق: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، الناشر: جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي) الطبعة الأولى .١٩٨٨/١٤٠٩

٢) آيات عتاب المصطفى ﷺ في ضوء العصمة والاجتهاد، للدكتور عويد بن عيَّاد بن عايد المطرَفي، الناشر: كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الملك عبد العزيز - مكة المكرمة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٣) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، لمحمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٤) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، لمجموعة من المؤلفين، إشراف وتقديم: محمد حمدي زقزوق، جمهورية مصر العربية، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، مطابع الأهرام التجارية.

٥) رد شبهات حول عصمة النبي ﷺ في ضوء السنة النبوية الشريفة، لعماد السيد محمد إسماعيل الشربينى، جمعه ورتبه وفهرسه عبد الرحمن الشامي، الموسوعة الشاملة.

٦) رسالة التوحيد، لمحمد عبده، الناشر: دار الكتاب العربي، دون تاريخ طبعة.

٧) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، لأبي الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

٨) صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٩) صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٠) عقائد الإمامية لمحمد رضا المظفر، الطبعة الثانية، ١٣٨٠هـ، دون اسم المطبعة.

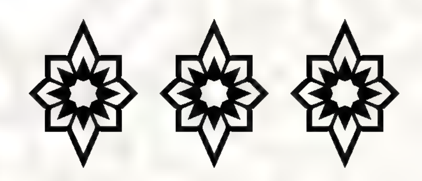
١١) كشف المتواري في صحيح البخاري، لمحمد جواد خليل، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٨م.



١٢) مجموع الفتاوى، لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م

١٣) من لا يحضره الفقيه، لأبي جعفر محمد ابن بابويه القمي، أشرف على تصحيحه وطبعه والتعليق عليه: حسين الأعلمي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

١٤) الموافقات للإمام الشاطبي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور، الناشر: دار ابن عفان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.



المقومات الفكرية في بناء الحضارة الإسلامية

د. عطا الله مدب حمادي الزوبعي

مسؤول فرع جنوب بغداد

مدرسة الحديث العراقية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين محمد وآله وأصحابه ومن اهتدى بهديه واتبع سنته إلى يوم الدين أما بعد:

فقد استمد المسلمون نهضتهم الإنسانية في البناء الحضاري والرقي الثقافي من القرآن الكريم والسنة النبوية، فكانت الآيات القرآنية والسيرة النبوية هي المنطلقات الأولى لأبناء الأمة الإسلامية نحو بناء الإنسان وإعمار الأرض.

فالمعاني التي تحملُها الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة في النظر إلى السنن الإلهية في الإنسان والكون مثل سنة الأخذ بالأسباب في كسب الخيرات واتقاء الشرور والأذى لا شك تدفع بالمسلمين نحو العمل بجد واجتهاد على تطويع قوى الطبيعة وعناصرها حولهم من أجل تيسير تناول خيرات الأرض لصالح الإنسان، وقد اعطت النصوص الشرعية قيمة كبيرة لهذا النوع من الأعمال لأنه يقدم خدمة كبيرة للإنسان من خلال تسهيل المنافع الخاصة والعامة.

وإذا كان الله تعالى قد خلق الإنسان للعبادة فإن خدمة الإنسان والعمل على تحضره تيسر مهمة عبادة الإنسان لربه، سواء كان ذلك من جهة تخفيف العناء في الحياة وتوفير متطلباتها أو من جهة إلزام الإنسان بواجب شكر الله على نعمة المنافع في توفير المأكل والملبس والمسكن والتعليم والصناعات، وغير ذلك.

وكلما تقدمت أمة من الأمم في جانب البناء والإعمار والصناعة وتطوير وسائل المعيشة وادواتِها كلما كانت أكثر تحضرا من غيرها من الأمم الأخرى، وهذا المعيار في تحديد تطور الأمم حضاريا، والمقارنة بينها في درجة التحضر هو في الحقيقة يعبر عن

مفهوم الحضارة والتي هي مظهر من مظاهر العلم والمعرفة والثقافة ونتيجة من نتائجها التطبيقية على أرض الواقع.

فالعلم المكتسب هو سبب مباشر للتحضر في جميع نواحي الحياة الصناعية والزراعية والتجارية والبناء والإعمار، والعلم الشرعي هو سبب مباشر للسلوك الثقافي الفكري الذي يدفع الإنسان لاكتساب العلوم وتحصيل المعارف لتحقيق المنافع، فبذلك تكون الثقافة الفكرية هي أهم مقومات الحضارة الإسلامية.

وقد كان أثر القرآن الكريم والسنة النبوية في توجيه المسلمين إلى البناء الحضاري يسير باتجاهين:

الأول: في الحث على إعمال العقل من خلال النظر في سنن الله الكونية والأخذ بالأسباب في تحصيل المنافع وتحقيق المصالح بما يسهم في تيسير معيشة الناس.

والاتجاه الثاني: من خلال لفت نظر المسلمين إلى أهمية البناء الحضاري من خلال الحديث عن قصص الأمم السابقة وذكر بعض منجزاتها في مجالات الصناعة والزراعة والتجارة والعمران التي بلغتها تلك الأمم.

وقد استفاد المسلمون من توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية في العمل والإنتاج والإبداع في البناء الحضاري، فأخذوا بأسباب العلم والمعرفة حتى سبقوا شعوب الأرض في أحقاب تاريخية طويلة، وشملت النهضة الحضارية الإسلامية جميع جوانب الحياة.

وفي هذا المقال سوف أتناول أهم أسس البناء الحضاري ومقوماته التي وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية والتي انطلق منها المسلمون في بناء نهضتهم الحضارية، في مختلف مجالات الحياة الزراعية والصناعية والتجارية والعمرانية وقد قسمت الموضوع وفق الخطة التالية:

أولا: مقومات البناء الحضاري في الجانب الزراعي.

ثانيا: مقومات البناء الحضاري في الجانب الصناعي.

ثالثا: مقومات البناء الحضاري في الجانب التجاري.

رابعا: مقومات البناء الحضاري في الجانب العمراني.

فأقول وبالله التوفيق:

أولاً: مقومات البناء الحضاري في الجانب الزراعي.

لقد لفتت الآيات المباركة في سورة سبأ النظر إلى النعمة العظيمة التي عاشتها مملكة سبأ بفضل السد على وادي مأرب، حيث وفر السد الرزق الوفير والعيش الرغيد لشعب اليمن لمئات السنين.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ، فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ (١)، فقد كان أهل اليمن يجنون من ريع السد أنواع المحاصيل والثمار التي كانت تجود بها الجنتان على ضفتي السد، أخرج الطبري في تفسيره بسنده عن ابن زيد قال: وإن كان الإنسان ليدخل الجنتين، فيمسك القفة على رأسه فيخرج حين يخرج، وقد امتلأت تلك القفة من أنواع الفاكهة ولم يتناول منها شيئا بيده، قال: والسّدُّ يسقيها(٢).

ثم بينت الآيات ما جرى لسبأ بعد انهيار السد، فقد زالت النعمة التي كان يوفرها السد في ري الحقول الزراعية وأشجار الفاكهة ولم يبق من ذلك إلا المحاصيل ذات النوعية الرديئة.

فالآيات القرآنية وضعت المسلم بين صورتين صورة بوجود السد وصورة بعد انهياره، الصورة الأولى بينت النعمة الكبيرة والخيرات الوفيرة والعيش الرغيد بوجود السد، والصورة الثانية كشفت عن أحوال الضنك وشدة العيش لقلة المؤنة ورداءة المحاصيل لقلة وجود الماء، وللمسلم أن يقارن بين الصورتين ليخرج بنتيجة أن الحياة لها سنن، ولا بد من مراعاة تلك السنن لإصلاح حياة الإنسان وإعمار الأرض، ومن سنن الحياة الأخذ بأسباب الرزق وهذه الأسباب لا تتحصل إلا بالنظر الفكري والعمل الدؤوب، فإن سنن الله تقتضي العمل على إيجاد أسباب الرزق.

وجاءت السنة النبوية في هذا الاتجاه لتبين أهمية العمل على الاستفادة من خزائن الأرض واستخراج خيراتها، فحثت السنة النبوية على توفير مصادر المياه من

---

(١) سورة سبأ.

(٢) تفسير الطبري، ج ٢٠، ٣٧٦.



خلال حفر الآبار وشق الجداول لإحياء الموات وغرس الأشجار لتسهم في تحسين الحالة المعيشية للإنسان، أخرج الإمام أحمد في مسنده بسنده عَنْ جَابِرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيْتَةً، فَلَهُ فِيهَا أَجْرٌ، وَمَا أَكَلَتِ الْعَافِيَةُ مِنْهَا، فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ"، وَقَالَ ابْنُ أَبِي بُكَيْرٍ: "مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيْتَةً، فَهِيَ لَهُ" [(١)].

وقد وضعت السنة النبوية كثيرا من أحكام المياه فيما يتعلق بالاستعمال البشري والزراعي، ولعل من أهم تلك الأحكام هو جعل الماء في الطبيعة مشاعا للجميع وحرمت احتكاره، فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لاَ يُمْنَعُ فَضْلُ المَاءِ لِيُمْنَعَ بِهِ الكَلَأُ»[(٢)].

وأخرج ابن ماجه في سننه بسند صحيح عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "ثَلَاثٌ لَا يُمْنَعْنَ: الْمَاءُ، وَالْكَلَأُ، وَالنَّارُ" [(٣)].

ولعل من أعظم آثار السنة النبوية في البناء الحضاري في هذا الجانب هو وضع التشريعات في الحفاظ على الثروة المائية والزراعية وعدم الإسراف في هدرها وصيانة مصادرها وحفظها من التلوث، ومن ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما بسنديهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ واللفظ لمسلم، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ، فَلَا يَغْمِسْ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ حَتَّى يَغْسِلَهَا ثَلَاثًا، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ»[(٤)].

فهذا الحديث يأمر بصيانة المياه عن التلوث سواء بطريقة استعمال الماء كما في هذا الحديث أو بتغطية الأواني كما جاء في أحاديث أخرى، ولا شك أن مصادر المياه

---

(١) أحمد، مسند أحمد، برقم (١٤٨٣٩)، والنسائي، سنن النسائي، كِتَابُ إِحْيَاءِ الْمَوَاتِ، بَابُ الْحَثِّ عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوَاتِ برقم (٥٧٢٤).

(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب المزارعة، بَابُ مَنْ قَالَ: إِنَّ صَاحِبَ المَاءِ أَحَقُّ بِالْمَاءِ حَتَّى يَرْوَى لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لاَ يُمْنَعُ فَضْلُ المَاءِ»، برقم (٢٣٥٣) و(٢٣٥٤)، وكتاب الحيل، بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنَ الاِحْتِيَالِ فِي البُيُوعِ، وَلاَ يُمْنَعُ فَضْلُ المَاءِ لِيُمْنَعَ بِهِ فَضْلُ الكَلَإِ، برقم (٦٩٦٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، بَابُ تَحْرِيمِ بَيْعِ فَضْلِ الْمَاءِ الَّذِي يَكُونُ بِالْفَلَاةِ وَيُحْتَاجُ إِلَيْهِ لِرَعْيِ الْكَلَإِ، وَتَحْرِيمِ مَنْعِ بَذْلِهِ، وَتَحْرِيمِ بَيْعِ ضِرَابِ الْفَحْلِ، برقم (١٥٦٦).

(٣) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب الرهون، بَابُ الْمُسْلِمُونَ شُرَكَاءُ فِي ثَلَاثٍ، برقم (٢٤٧٣) .

(٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الوضوء، بَابُ الِاسْتِجْمَارِ وِتْرًا، برقم (١٦٢)، ومسلم في صحيحه، كِتَابِ الطَّهَارَةِ، بَابُ كَرَاهَةِ غَمْسِ الْمُتَوَضِّئِ وَغَيْرِهِ يَدَهُ الْمَشْكُوكَ فِي نَجَاسَتِهَا فِي الْإِنَاءِ قَبْلَ غَسْلِهَا ثَلَاثًا، برقم (٢٧٨).



العامة التي هي في متناول المجتمع هي أولى بالمحافظة عليها من الملوثات، وقد جاءت الأحاديث في هذا الشأن تنهى عن تلويث الماء الذي هو ملك الجميع، فقد أخرج مسلم في صحيحه بسنده عَنْ بُكَيْرِ بْنِ الْأَشَجِّ، أَنَّ أَبَا السَّائِبِ، مَوْلَى هِشَامِ بْنِ زُهْرَةَ، حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يَغْتَسِلْ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ وَهُوَ جُنُبٌ» فَقَالَ: كَيْفَ يَفْعَلُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: «يَتَنَاوَلُهُ تَنَاوُلًا»[١].

إن الإسلام في هذه التوجهات والتشريعات التي يأمر بها في البحث عن مصادر المياه لإحياء الأرض وزراعتها، ويحث على صيانة مصادر الماء من التلوث يكون قد سبق جميع الأمم في المحافظة على البيئة وصيانة عناصر الصحة والحياة فيها وهذا سبق حضاري يسجل لصالح الإسلام.

وقد أخذ المسلمون من تشريعات القرآن الكريم والسنة النبوية منطلقا لتنظيم الحقول الزراعية وإحياء الموات بعمل السدود على الأنهار وحفر الآبار وشق الجداول والسواقي إلى الأراضي الصالحة للزراعة وإن كانت بعيدة عن مصادر المياه، وبلغت الزراعة أوج ازدهارها في زمن الدولة العباسية، ولا زالت آثار تلك المشاريع الإروائية من جداول وأنهار إلى زمن قريب وخاصة في محيط بغداد في المناطق الواقعة بين بغداد ونهر الفرات، وهذه الآثار للجداول والأنهار بدأت تزول في الوقت الحاضر شيئا فشيئا بمسحها من جديد من قبل المزارعين لأغراض الزراعة والسكن.

ثانياً: مقومات البناء الحضاري في الجانب الصناعي.

إن معظم الصناعات الإنشائية والعسكرية والمنزلية تعتمد في الأساس على مادة الحديد، والحديد هو أحد عناصر الطبيعة الموجود بكثرة في الأرض، وجاءت سورة كاملة في القرآن الكريم تحمل اسم سورة الحديد، وذكرت الآيات فيها منافع الحديد، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[٢].

---

(١) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الطهارة، بَابُ النَّهْيِ عَنِ الاغْتِسَالِ فِي الْمَاءِ الرَّاكِدِ، برقم (٢٨٣).

(٢) سورة الحديد.

فالآية نبهت على منافع الحديد المفتوحة ولم تقيد تلك المنافع بمجال معين من مجالات الصناعة، وفي هذا إشارة إلى إعمال الفكر في استخراج تلك المنافع المختلفة.

ثم بين الله تعالى في آيات أخرى أنه ألان الحديد لنبي الله داود عليه السلام ليعمل ما يشاء من الصناعات التي ينتفع بها الإنسان، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ، أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[١].

فالآية تثير الفكر لاستغلال هذه المادة الصناعية في تحقيق منافع كثيرة كالأسلحة والدروع والأواني المنزلية والمواد الإنشائية وغير ذلك، ثم عززت الآيات ذكر قصة ذي القرنين في عمل السد باستخدام الحديد مع مادة أخرى لينتج عن ذلك طريقة استخدام أخرى للحديد فيها منفعة جديدة تضاف لما سبق من منافع، فمنافع الصناعة من هذه المادة مفتوحة لمن استغل عقله وثور فكره في توسيع الاستفادة من تلك المادة.

وأما في مجال الصناعات الطبية فقد أخرج أحمد في مسنده بسنده عَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: "تَدَاوَوْا عِبَادَ اللهِ، فَإِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لَمْ يُنَزِّلْ دَاءً، إِلَّا أَنْزَلَ مَعَهُ شِفَاءً، إِلَّا الْمَوْتَ، وَالْهَرَمَ"[٢]، فالحديث فتح باب الصناعات الدوائية على مصراعيه لاكتشاف الدواء المناسب لكل مرض، وكان أشهر كتاب في الطب كتاب ابن سينا الذي كان العمدة في الطب لعدة قرون، وقد تمت ترجمته لعدة لغات أخرى غير العربية.

واشتهرت صناعة الرق من الجلود في صدر الإسلام الأول لأغراض الكتابة، وقد كُتب القرآن الكريم على الرق، وكذلك كتبت السنة النبوية.

وفي الصناعة العسكرية حث الإسلام على امتلاك ناصية العلم والمعرفة لصناعة آلات الحرب للتمكن من مواجهة الأعداء، والاستعداد الجيد للمعركة بالعدة والعتاد، فقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ

---

(١) سورة سبأ.

(٢) مسند أحمد، رقم (١٨٤٥٥).





وَعَدُوَّكُمْ﴾[١]، ولا شك فإن الإعداد يقتضي امتلاك السلاح بجميع الوسائل التجارية والصناعية.

وأخرج أحمد في مسنده بسنده عَنْ خَالِدِ بْنِ زَيْدٍ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ، وَكَانَ رَجُلًا يُحِبُّ الرَّمْيَ، إِذَا خَرَجَ خَرَجَ بِي مَعَهُ، فَدَعَانِي يَوْمًا، فَأَبْطَأْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: تَعَالَ أَقُولُ لَكَ مَا قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَا حَدَّثَنِي، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ بِالسَّهْمِ الْوَاحِدِ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ الْجَنَّةَ: صَانِعَهُ الْمُحْتَسِبَ فِي صَنْعَتِهِ الْخَيْرَ، وَالرَّامِيَ بِهِ، وَمُنْبِلَهُ" [٢]، فالحديث جعل ثواب صانع السلاح من المسلمين لغرض دفع العدو عن الأمة كالمجاهد في سبيل الله.

وهكذا تطورت صناعة السيوف والرماح والنبال، واشتهرت صناعة السفن في خلافة عثمان رضي الله عنه ثم تطورت إلى أسطول بحري إسلامي كبير، وتطورت كذلك صناعة الأدوية وانتشر الأطباء في البلاد، وكثرت الطواحين التي تعمل على الريح في عهد الخلفاء الراشدين، وأسس في زمن هارون الرشيد أول مصنع لصناعة الورق، وهكذا تطورت الصناعات العسكرية والمدنية المختلفة.

ثالثاً: مقومات البناء الحضاري في الجانب التجاري.

من القطاعات التي نبهت الشريعة الإسلامية على أهميتها للأمة والمجتمع هو قطاع التجارة، وكانت قريش إمارة تقوم على التجارة، وجاء الإسلام وبين أن عمل قريش بالتجارة هو فضل من الله تعالى حيث أرشدهم إلى هذه الطريقة لكسب معايشهم، قال تعالى: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ، إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ، فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ، الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾[٣]، فالآيات هنا فيها تذكير لقريش على نعمة الله عليهم حيث فتح الله عليهم رحلتين تجاريتين ليكسبوا منهما معايشهم.

---

(١) سورة الأنفال، آية (٦٠).

(٢) مسند أحمد رقم (١٧٣٣٥).

(٣) سورة قريش.



وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]، قال القرطبي: (يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَراتُ كُلِّ شَيْءٍ) أَيْ يُجْمَعُ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ أَرْضٍ وَبَلَدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ. يُقَالُ: جَبَى الْمَاءَ فِي الْحَوْضِ أَيْ جَمَعَهُ. وَالْجَابِيَةُ الْحَوْضُ الْعَظِيمُ[2].

وقال تعالى: ﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾[3]، فهذه الآيات المباركة تعطي قيمة كبيرة للعمل التجاري وتبين دور قطاع التجارة في استقرار البلاد اقتصاديا والعمل على رفاهية العباد.

وقد وضعت السنة النبوية الكثير من الأحكام الشرعية في العمل التجاري ونظمت طريقة البيع والشراء بين التجار ورغبت في العمل التجاري لكي لا يكون الفرد عالة على غيره وليكتفي المجتمع من جهود أبنائه في جميع مجالات الحياة، فقد أخرج أحمد في مسنده بسند صحيح عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي غَرَزَةَ، قَالَ: كُنَّا نُسَمَّى السَّمَاسِرَةَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَتَانَا بِالْبَقِيعِ فَقَالَ: "يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ، فَسَمَّانَا بِاسْمٍ أَحْسَنَ مِنَ اسْمِنَا إِنَّ الْبَيْعَ يَحْضُرُهُ الْحَلِفُ، وَالْكَذِبُ، فَشُوبُوهُ بِالصَّدَقَةِ"[4].

وقد انتفع المسلمون من توجيه القرآن الكريم والسنة النبوية في مجال التجارة، فكان التجار من المسلمين أهل ذكاء وبراعة إلى جانب الأمانة والاستقامة فكان لهم دور كبير في الدعوة إلى دين الله، حتى دخل في الإسلام أمم وشعوب كثيرة عن طريق اختلاطهم بتجار المسلمين.

رابعاً: مقومات البناء الحضاري في الجانب العمراني.

لقد امتن الله تعالى على قوم صالح بنعمه الكثيرة وذكرهم بها، ومنها نعمة السكن، حيث كانوا يسكنون في بيوت واسعة وحصينة عن الأعداء وآمنة من عوامل

---

(١) سورة القصص.

(٢) تفسير القرطبي، ج ١٣، ص ٣٠٠.

(٣) سورة المزمل، آية (٢٠).

(٤) مسند أحمد برقم (١٦١٣٤).

الطبيعة، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[1] ، وقال تعالى: ﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ﴾ [2].

وفي هذا الموضوع أخرج أحمد في مسنده بسند مقبول عَنْ نَافِعِ بْنِ عَبْدِ الْحَارِثِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ الْجَارُ الصَّالِحُ، وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيءُ، وَالْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ"[3].

فالآيات ذكرت البيوت الآمنة والقصور الكبيرة على سبيل ذكر النعمة ووجوب شكرها، وفي هذا امتنان من الله على هذه النعمة، والحديث بين أن أحد أهم عناصر السعادة سعة المسكن ورحابته، ولا شك أن هذه النصوص الشرعية تعطي أهمية كبيرة لبناء المدن والتخطيط لها والعناية بالمساكن ومرافق الحياة فيها، وهذا الأمر ترك أثرا كبيرا في بناء المدن الإسلامية في أوقات لاحقة مثل الكوفة والبصرة والتي أصبحت كل واحدة منها من أعظم مدن الدنيا في وقتها، ثم كان أثر التخطيط واضحا في بناء بغداد من حيث اختيار الموقع ومن حيث التصميم حيث تم بناؤها في أرض طيبة وجعلت مدينة دائرية يفصل نهر دجلة بين شقيها، وهذا يوفر لها متطلبات الحياة ويهئ لها احتياطات أمنية خاصة.

في حين نرى أن الحضارات غير الإسلامية وخاصة في هذا الزمن قد اتجهت نحو الربح المادي ولم ترع حاجات الإنسان النفسية والبدنية حيث اتجهت نحو البناء العمودي الذي يفرض ضيق المكان، وقد جاءت جائحة كورونا لتؤكد حاجة الإنسان إلى المنزل المناسب في جميع أوقاته، فإن البيوت فيها أطفال وكبار السن، وهم بحاجة إلى عناية خاصة يوفرها لهم سعة المنزل.

وتظهر الحاجة إلى سعة المنزل ورحابته عند حصول حالات مرضية معينة أو انتشار الأمراض الوبائية والحاجة إلى الحجر الصحي المنزلي، فالمنازل ملاذ الناس، وإن

---

(١) سورة الأعراف

(٢)سورة الحجر: ٨٢

(٣) مسند أحمد برقم (١٥٣٧٢).



سعة المنزل تعين على توفير الأجواء الصحية، فكانت النصوص الشرعية تنبه الناس إلى العناية بالمنازل السكنية.

إن العناية بالعمران والتخطيط له هو مهمة الدول حيث تقع المسؤولية على المعنيين بذلك في تخطيط المدن والاهتمام بالمنازل ومرافقها الحياتية، وقد اضطر الناس في هذا الزمن إلى الحجر الصحي المنزلي بعد أن عجزت المؤسسات الصحية عن استيعاب المرضى، فإنه في النهاية لا يسع الإنسان إلا بيته.

فنلحظ من خلال ما مضى من الكلام كيف نبه الإسلام على هذه الأمور الحياتية المهمة وكيف تجاهلتها الحضارات الأخرى، ولو أنصف أهل العلم والمعرفة من الغربيين والشرقيين لاعتبروا الحضارة الإسلامية حضارة حيوية إنسانية صالحة لكل زمان، لكونها تنطلق من النصوص الشرعية في التفكير والبناء.

وفي جانب المصالح العامة كانت النصوص الشرعية تحث على بناء المساجد وتهيئتها كبيوت للعبادة والعلم والمعرفة، فالمساجد في الإسلام هي مؤسسات تعليمية وإدارية إلى جانب كونها بيوتا للعبادة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[١] ، وقال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾[٢].

فالآيات تؤكد على رفع البناء لبيوت الله تعالى والتي هي مقر للعبادة وملاذ للناس ومأوى للعاكفين والقائمين.

وحثت السنة النبوية على بناء المساجد ورغبت في ذلك بذكر الثواب العظيم لمن يقوم بهذا العمل، فقد أخرج أحمد في مسنده بسنده عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: "مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا وَلَوْ كَمَفْحَصِ قَطَاةٍ لِبَيْضِهَا، بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ"[٣].

فلأجل هذه النصوص الشرعية التي تحث على بناء المساجد والعناية بها والإقامة على خدمتها، كانت عناية المسلمين بالمساجد كبيرة حيث تطور العمران فيها، وأصبحت

---

(١) سورة البقرة: ١٢٧

(٢) سورة النور: ٣٦

(٣) مسند أحمد برقم (٢١٥٧).



طريقة بناء المساجد طريقة خاصة بالحضارة الإسلامية، وتم بناء مساجد كثيرة في العالم الإسلامي ذات مساحات كبيرة وطرز إسلامية مبتكرة، ومن ذلك مسجد قبة الصخرة والمسجد الأقصى وغير ذلك، وهكذا انتشرت عمارة المساجد في مشارق الأرض ومغاربها حتى أصبحت من أهم معالم الحضارة الإسلامية من حيث رحابة البناء ومتانته، ومن حيث الطراز المعماري الخاص بها.

إن هذه الأمور التي ذكرتُها هي بعض ما ذكر في القرآن الكريم والسنة النبوية في الحث على البناء الحضاري، فالإسلام يدعوا إلى عمارة الأرض واستخراج خيراتها لخدمة الإنسان، وعندما كان المسلمون ملتزمون بقيم الإسلام ومبادئِه سلوكا وثقافة تقدموا على شعوب الأرض في البناء الحضاري وسبقوا الأمم الأخرى في شتى مرافق الحياة.

وأخيرا أسأل الله تعالى أن يعيد للأمة الإسلامية مجدَها وعزها لتمارس دورها الحقيقي في بناء الإنسان تربوياً وعمارة الأرض حضارياً.



مدخل إلى علم تحقيق النصوص

قراءة النص المحقق

الحلقة الثالثة

أ.د. صالح حيدر الجميلي

مسؤول شعبة المخطوطات في مدرسة الحديث العراقية

أستاذ اللغة العربية وعلومها في كلية الإمام الأعظم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد :

فقد تكلمنا في المقالتين السابقتين عن خطوات اختيار المخطوطة، وصفات المحقق الجيد، وكيفية تعيين النسخة الأم أو الأصل، ونسخ المخطوطة ومقابلتها، ونحن اليوم نتكلم عن خطوة جديدة ألا وهي قراءة النص المحقق، وقد اختلف في هذه الخطوة : أهي قبل النسخ أم بعده. وهذا يعتمد على ثقافة المحقق وتخصصه وخبرته، وسأبين ذلك فيما يأتي:

إن قراءة النص بصورة دقيقة، وفهمه، ومعرفة مادته العلمية، وتأشير ناقصه، خطوة ضرورية جدا لإخراج النص بحلته الجديدة. ولا يمكن للمحقق الجيد أن يتجاوزها بعد نسخ المخطوط كاملا ليكتمل متن الكتاب بصورته النهائية. ولكي نحصل على الفوائد الآتية عند القراءة وهي :

١. التعرف الى خصائص النص، والوعي بموضوعاته وقضاياه والأفكار المحورية التي يركز عليها المؤلف.




٢. التعرف الى خصائص النسخة المخطوطة المتضمنة خط الناسخ والمصطلحات والرموز والاختبارات الواردة فيها، والإملاء والشكل والترقيم، وطريقة إصلاح الزيادة والنقص وطريقة كتابة الحواشي.

٣. التعرف إلى شخصية المؤلف وثقافته وأسلوبه ومنهجيته في تحصيل المعلومات من مصادرها، وهدفه وبيئته الزمنية والمكانية، وما يحتوي النص من مؤلفاته الأخرى.

٤. تسجيل معلومات عن النص من الناحيتين العلمية والتاريخية، من أجل تقرير صلاحية المخطوط للتحقيق.

٥. تسجيل ملاحظات تفيد في إغناء عناصر دراسة النص.

٦. تسجيل مواضع الإشكالات من أجل التنبه إلى حلها، كتسجيل الكلمات التي يتعسر على المحقق قراءتها، فربما تكررت مرة أخرى وعرفناها من السياق، وإذا كانت كلمة تعبر عن فكرة مبهمة فسيكررها في موضع آخر فتتوضح.

وقد جعل بعض المحققين القراءة قبل النسخ أو بعده على ثلاثة أنواع:

❖ قراءة استكشاف.

❖ قراءة استنطاق.

❖ قراءة تقييد (تسجيل الملاحظات).

ولا ننسى أن هناك قراءات أخرى للنص ستكون بعد ذلك كلما تطلب الأمر وهي:

❖ القراءة المقترنة بالنسخ.

❖ وقراءة التحرير،

❖ وقراءة التعليق،

❖ وقراءة النقد،



ويمكننا جعلها قراءة واحدة أو قراءات متعددة كما سبق وهذا، ما يفرضه علينا النص نفسه للإشكاليات الآتية:

- أسباب متعلقة بالنص؛ كغرابة المادة العلمية للنص، أو غرابة لغته.

- أسباب متعلقة بالناسخ: كجهل الناسخ أو سرعته أو سوء خطه أو عدم ضبطه للنسخة أو سوء ضبطه لإملاء الحروف وضبط شكلها واعجامها.

- أسباب متعلقة بالنسخة: كالنسخة الوحيدة أو ندرة النسخ، أو وجود موانع للقراءة، كالطمس أو التلف أو الخروم .

- أسباب متعلقة بالمحقق: كضعف المؤهل العلمي (غير متخصص) أو ضعف مصادره، أو عدم وصوله إلى أهل الخبرة أو عدم وقوفه على مكتبة النص وعلاقاته النصية.

فضلا عن ذلك كثرة التقسيمات والتفريعات، وصعوبة إرجاع كل نوع إلى جنسه، وكل قسم إلى نظيره، فيحصل اللبس، ويقع الخلط في مرجع كل نوع، فيتوهم الخطأ.

صفات القراءة الصحيحة للنص:

- استقصاء النسخ المخطوطة، واختيار أفضلها للتحقيق، والاستعانة بالنسخ الثانوية التي تعتمد في المقابلة عند اللزوم.
- النظر الى النص على أنه وحدة متكاملة يشرح بعضه بعضا.
- الاطلاع على مصادر النص والنصوص المتشابهة له أو القريبة منه، ولا سيما إذا كانت للمؤلف نفسه .
- التركيز في القراءة وعدم إشغال الذهن بشيء آخر.
- تقديم الشك على اليقين . والبحث عن الصحيح حتى زوال الشك عن بعض ألفاظ النص وكلماته.
- التعود على عدم القراءة من الذاكرة، بأن يقرأ من النص جزءا من الكلمة، ويكمل الباقي بالحدس.

- ملاحظة السياق لتحصيل اللفظ المشكوك به.
- الخبرة في التعامل مع المخطوطات وطرق النساخ في الضبط وأنواع الخطوط المستعملة ورموزهم ومصطلحاتهم.
- الإفادة من تجارب المحققين الكبار ومراجعتهم عند حصول مشكلات معينة في التحقيق.
- توظيف ثقافة المحقق العامة في معرفة نوع الألفاظ، وجذرها، وكيفية رسمها، ومعرفة ما ختم بحرف مقصور أو ممدود.
- معرفة دلالات الألفاظ وتمييزها إن كانت مذكرة أو مؤنثة أو من أسماء الأعلام الشخصية أو غير ذلك من أسماء الأماكن والأطفال والأنهار والرياح والخيل والدواب بصورة عامة.
- التفريق بين مصطلحات العلوم سواء كانت فقهية أم أصولية أم لغوية أم عقدية أم نحوية.
- الوقوف على ألوان الأشياء وصفاتها، وعيوب البشر الخَلْقية والخُلُقية، وأسماء الموازين والمكاييل والمساحات وغيرها.
- معرفة القراءات القرآنية أصولا وفرشا ومصادرها لئلا يقع في المحذور ويحكم على اللفظ القرآنية بالخطأ وهي مكتوبة بقراءة أخرى سواء كان الفرق بالرسم أو الشكل أو الاعجام.
- معرفة علم العروض وأسماء البحور الشعرية وأسماء المجاميع الشعرية وكتب الأدب، وكيفية كتابة القافية وضبطها ومعرفة مواضع الضرورة الشعرية كي لا يحكم على البيت الشعري بالخطأ .

فالمتابع لهذه الخطوات المتأنية عند قراءة النص يتلمس أهمية هذه الخطوة وكأنها عملية التحقيق كاملة.

وفقنا الله تعالى لخدمة كتابه العزيز وما تحرر منه من علوم جادت بها قرائح علمائنا الأفاضل جزاهم الله خيرا وجعلنا نسير على خطاهم في خدمة العلم وطلبته

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وأصلى وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مصادر المقالة:

- ❖ المنهج الأمثل لتحقيق النصوص الخاص بكلية الإمام الأعظم.
- ❖ ما لا يسع المحقق جهله، د محمود مصري.






الرواة الموصوفون في مسند البزار بـ"خيار الناس" هل يعتبر تعديلاً لهم أم لا

أ.م.د سعدون محمد جواد
جامعة الفلوجة كلية العلوم الاسلامية
قسم الحديث وعلومه

ذكر الامام البزّار في مسنده رواة ووصفهم بأنهم خيار الناس، وبالاستقراء للمسند، فهم سبعة رواة، فهذا الوصف ليس بالضرورة يدّل على توثيق الراوي، بل يدّل على زيادة في التوثيق، أو يوصف الراوي بأنه ضعيف ومع ذلك يذكر الإمام البزار بأنه من خيار الناس ومن فضلائهم وعقلائهم، فهذا يدّل على وصف أخر زائد، يتضح ذلك من خلال القرائن والمقارنة بين أقوال العلماء الذين جاءوا من بعده، علماً أن علماء النقد الذين جاءوا بعده، جعلوا قول الناقد "خيار" في مرتبة درجة الحديث الحسن، فكان المقال مقسماً على مطلبين :

المطلب الأول: المعنى الاصطلاحي عند المحدثين له، ومرتبته عند علماء الجرح والتعديل.

والمطلب الثاني: الدراسة التطبيقية لهذا الوصف "خيار الناس" في مسنده.

***



المطلب الاول: المعنى الاصطلاحي عند المحدثين له، ومرتبته عند علماء الجرح والتعديل.

أولاً : يقول النقاد، فلان خيار يعنون بذلك أنه من ينتقى ويصطفى من بين أقرانه أو أهل عصره من الرواة، فهي ثناء رفيع القدر على من قيلت فيه[١].

ثانياً: لفظة الخيار، جعلها ابن أبي حاتم وابن الصلاح في المرتبة الثانية باعتبار أنهما جعلا مراتب التعديل أربع مراتب، واقتصرا فيها على قولهم: صدوق، أو لا بأس به، وجعلها الذهبي والعراقي في المرتبة الثالثة، باعتبار أنهما جعلا مراتب التعديل خمس مراتب، وزاد العراقي – أي على أبي حاتم وابن الصلاح - : أو مأمون، أو خيار، أو ليس به بأس، وجعلها ابن حجر في المرتبة الرابعة، باعتبار أنه جعل مراتب التعديل ست مراتب، في قولهم: ليس به بأس، أو لا بأس به، أو صدوق، أو مأمون، أو خيار، وقال ابن أبي حاتم: إن من قيل فيه ذلك، فهو ممن يكتب حديثه وينظر فيه[٢].

المطلب الثاني : الدراسة التطبيقية لهذا الوصف "خيار الناس" في مسند البزار.

أولاً: محمد بن منصور الطوسي العابد أبو جعفر، روى عن: ابن عيينة وابن علية ويحيى بن سعيد القطان، وروى عنه: أبو داود والنسائي وابن صاعد والمحاملي وعلي بن الحسين بن الجنيد[٣]، وثقه النسائي ومسلمة وابن حبان والذهبي وابن

---

(١) لسان المحدثين (معجم مصطلحات المحدثين)، ٣/ ١٦٣.

(٢) ينظر: الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح ١/ ١٦٨ وشرح التبصرة والتذكرة للعراقي ١/ ٣٧١ وتدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ١/ ٤٠٥ , شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر ٧٣٠

(٣) ينظر: الجرح والتعديل ٨/ ٩٤ والكاشف ٢/ ٢٢٤



حجر[١]، وذكروا له أوصافاً تدّل على أنه كان من خيار الناس في زمانه فيكون وصفاً زائداً في التوثيق، وله في الزهد والورع مقام كبير وكان من الأخيار، صاحب صلاة، مات ببغداد يوم الجمعة لست بقين من شوال سنة أربع وخمسين ومائتين[٢].

ثانياً: الجراح بن مخلد الْقَزاز من أهل الْبَصْرَة يروي عَن ابن عُيَيْنَة ومعاذ بن هشام وروح بن عبادة، وروى عنه: الترمذي وأبو عروبة وابن أبي داود[٣]، وثقه الذهبي وابن حجر مات نحو سنة خمسين ومائتين[٤]. وأقّر قول البزار أنه من خيار الناس مغلطاي وابن حجر[٥]، فيدّل هذا الوصف على زيادة في توثيقه، والله أعلم.

ثالثاً: حماد بن سلمة بن دينار أبو سلمة مولى ربيعة بن مالك وهو ابن أخت حميد الطويل روى عن: قتادة وابن أبي مليكة وثابت وأبي عمران الجوني، روى عنه: ابن المبارك ويحيى بن سعيد ووكيع وعبد الرحمن بن مهدي وشعبة ومالك وأبو نصر التمار[٦]، وذكر أئمة النقد أقوالاً في تعديله، كلها تدّل على أنه ثقة صحيح الحديث، قال العجلي: ثقة، رجل صالح، حسن الحديث، يقال: إن عنده ألف حديث حسن ليس عند غيره، وكان لا يحدث حتى يقرأ مائة آية[٧]، نقل ابن أبي حاتم: عن وهيبٍ أنه يقول: كان حماد بن سلمة سيدنا وكان حماد أعلمنا، وقال أحمد بن حنبل عنه: حماد بن سلمة أعلم الناس بثابت، وسئل عنه فقال: صالح، وذكره إسحاق بن منصور عن

---

(١) ينظر: تهذيب الكمال ٢٦/ ٥٠١ وسير أعلام النبلاء ٩/ ٥٤٩ وتقريب التهذيب ٥٠٨.
(٢) ينظر: الارشاد في معرفة علماء الحديث ٣/ ٨٦٤ والكاشف ٢/ ٢٢٤ وسير أعلام النبلاء ٩/ ٥٤٩.
(٣) ينظر: الثقات لابن حبان ١٦٤/٨ والكاشف ٢٩٠/١
(٤) ينظر: والكاشف ٢٩٠/١ وتقريب التهذيب ١٣٨.
(٥) ينظر: اكمال تهذيب الكمال ٣/ ١٧٥ وتهذيب التهذيب ٢/ ٦٦ .
(٦) ينظر: الجرح والتعديل ٣/ ١٤٠ والكاشف ١/ ٣٤٩
(٧) تاريخ الثقات ١٣١ .



يحيى بن معين قال: ثقة[١]، وذكره ابن حبان في الثقات وقال فيه: سُئل عبد الله بن الْمُبَارك بِالْبَصْرَةِ عَن مسَائِل فَقَالَ ائْتِ معلمي قلت – أي ابن حبان - وَمن هُوَ؟ قَالَ حَمَّاد بن سَلمَة[٢]، وقال الذهبي: قال ابن معين إذا رأيت من يقع فيه فاتهمه على الإسلام، وقال عمرو بن عاصم: كتبت عن حماد بن سلمة بضعة عشر ألفا، قلت –أي الذهبي - هو ثقة صدوق يغلط وليس في قوة مالك[٣]، وقال ابن حجر: حماد بن سلمة بن دينار البصري أبو سلمة ثقه عابد أثبت الناس في ثابت وتغير حفظه بأخرة مات سنة سبع وستين ومائة[٤]، وذكروا له أوصافاً أخرى تدّل في زيادة توثيقه، وبأنه من خيار الناس، وَكَانَ من الْعباد المجابين الدعْوَة، وَلم يكن من أَقْرَان حَمَّاد مثله بِالْبَصْرَةِ فِي الْفضل وَالدّين وَالْعلم والنسك وَالْجمع والكتبة والصلابة فِي السّنة والقمع لأهل الْبِدْعَة وَلم يكن يثلبه فِي أَيَّامه إِلَّا قدري أَو مُبْتَدع جهمي لما كَانَ يظْهر من السّنَن الصَّحِيحَة الَّتِي ينكرها الْمُعْتَزلَة وأنى يبلغ أَبُو بكر بن عَيَّاش حَمَّاد بن سَلمَة فِي إتقانه أَو فِي جمعه أم فِي علمه أم فِي ضَبطه[٥]، وَقَال الأَصْمَعِيّ، عن عبد الرحمن بن مهدي: حماد بْن سلمة صحيح السماع، حسن اللقى، أدرك الناس، لم يتهم بلون من الألوان، ولم يلتبس بشيءٍ، أحسن ملكة نفسه ولسانه، ولم يطلقه على أحد، ولا ذكر خلقا بسوء، فسلم حتى مات، وَقَال حاتم بْن الليث الجوهري، عن عفان بن مسلم: قد رأيت من هو أعبد من حماد بن سلمة، ولكن ما رأيت أشد مواظبة على الخير، وقراءة القرآن، والعمل لله منه[٦].

---

(١) ينظر: الجرح والتعديل ٣/ ١٤١ – ١٤٢ .

(٢) ينظر: الثقات لابن حبان ٦/ ٢١٧ .

(٣) الكاشف: ١/ ٣٤٩

(٤) تقريب التهذيب ١٧٨

(٥) ينظر: الثقات لابن حبان ٦/ ٢١٦ - ٢١٧

(٦) ينظر: تهذيب الكمال ٧/ ٢٦٣ - ٢٦٤.





رابعاً: بشر بن منصور السليمي أبو محمد الأزدي البصري روى عن: ابن جريج وعبيد الله بن عمر وأيوب وعاصم الأحول ومغيرة بن زياد، روى عنه: ابنه إسماعيل والقواريري وعبد الأعلى النرسي وابن مهدي وسليمان بن حرب[(١)]، وثقه علي بن نصر الجهضمي وأحمد بن حنبل والنسائي وأبو حاتم وأبو زرعة وابن حبان والذهبي[(٢)]، وقال ابن حجر: صدوق عابد زاهد مات سنة ثمانين[(٣)]، قال بشّار عواد معروف وشعيب الأرناؤوط مستدركين قول ابن حجر: بل ثقة عابد زاهد، فقد قال أحمدُ بن حنبل: ثقة ثقة وزيادة. وقال أبو زُرْعة: ثقة مأمون، كان عبدُ الرحمن بن مَهْدي يُقَدِّمه ويفضله ويحدث عنه. وقال أبو حاتم والنَّسائي: ثقة. وقال علي بن نَصْر الجَهْضَمي: ثَبْت في الحديث، ولا نعلمُ فيه جَرْحًا البتة، فلا أدري لِمَ قال المصِّنفُ فيه: صدوق؟[(٤)]، وذكروا له أوصافاء تدّل على أنه من خيار الناس في زمانه، زيادة في توثيقه وَكَانَ من خِيَار أهل الْبَصْرَة وعبادهم، وكان أحد المذكورين بالعبادة والخوف والزهد، قَالَ ابْن الْمَدِينِيّ مَا رَأَيْت أخوف مِنْهُ كَانَ يُصَلِّي كل يَوْم خَمْسمِائَة رَكْعَة[(٥)].

خامساً: مُوسَى بن عُبَيْدَة بن نسطاس الربذي أَخُو عبد الله بن عُبَيْدَة وَقد قيل مُوسَى بن عُبَيْدَة بن نشيط كنيته أَبُو عبدالْعَزِيز، يروي عبد الله بن دِينَار وَأهل الْمَدِينَة، روى عَنهُ الْعِرَاقِيُّونَ وَأهل بَلَده، مَاتَ بالربذة وَقد قيل بِالْمَدِينَةِ سنة ثَلَاث وَخمسين وَمِائَة[(٦)]، وصفه علماء الجرح والتعديل بأوصاف كلها تدّل على أنه ضعيف ومتروك ومنكر الحديث، ولا يتابع عليه، ويروي عَن الثِّقَات مَا لَيْسَ من حَدِيث الْأَثْبَات

(١) ينظر: الجرح والتعديل ٢/ ٣٦٥ والكاشف ١/ ٢٧٠.

(٢) ينظر: الجرح والتعديل ٢/ ٣٦٦ تهذيب الكمال ٤/ ١٥٣ والكاشف ١/ ٢٧٠.

(٣) تقريب التهذيب ١٢٤.

(٤) تحرير تقريب التهذيب ١/ ١٧٥.

(٥) ينظر: الثقات لابن حبان ٨/ ١٤٠ وتهذيب الكمال ٤/ ١٥٣ والخلاصة في تذهيب الكمال ٤٩.

(٦) المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين لابن حبان ٢/ ٢٣٤.



من غير تعمد لَهُ فَبَطل الِاحْتِجَاج بِهِ من جِهَة النَّقْل، ذكره أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وعلي ابن الجنيد والنسائي وابن حبان والدارقطني وابن حجر(١)، وذكروا له أوصافاً بأنه كان من خير الناس، لكنها لم تؤثر في تعديله، بل بقي مجروحاً بما ذكر وفسّر. كانوا يَجدونَ الْمسك يفوح من قَبره وَكَانَ من خِيَار عباد الله نسكا وفضلا وَعبادَة وصلاحاً(٢)، قال ابن حجر: وقال أبو بكر البزار: موسى ابن عبيدة رجل مفيد وليس بالحافظ وأحسب إنما قصر به عن حفظ الحديث شغله بالعبادة(٣).

سادساً: سلام بن أبي مطيع أبو سعيد روى عن: أبي عمران الجوني وقتادة ويونس بن عبيد وأبي حصين وروى عنه: ابن مهدي وهدبة وأبو الوليد وموسى بن إسماعيل ومسدد(٤)، وثقه أحمد بن حنبل فقال ابنه عبد الله: سَمِعت أبي يَقُول: سَلام بن أبي مُطِيع من الثِّقَات حَدثنَا عَنهُ ابن مهْدي(٥)، وقال أيضاً عنه: سالته عن يحي عَن سَلام بن أبي مُطِيع فَقَالَ: لَيْسَ بِهِ بَأْس قَالَ أبي ثِقَة(٦)، قال ابن أبي حاتم: سُئل أبي عن سلام بن مسكين وسلام ابن أبي مطيع فقال: جميعا ثقة إلا أن سلام بن مسكين أكثر حديثا، وكان سلام بن أبي مطيع صاحب سنة، وسألت أبي عنه فقال: صالح الحديث(٧)، قال ابن عدّي بعدما ذكر فيه أقوال مَن سبقه: ومع هذا كله فهو

---

(١) ينظر: المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين لابن حبان ٢/ ٢٣٥ والضعفاء والمتروكون ابن الجوزي ٣/ ١٤٧ وتقريب التهذيب ٥٥٢ .

(٢) المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين لابن حبان ٢/ ٢٣٤ .

(٣) تهذيب التهذيب ١٠/ ٣٦٠

(٤) ينظر: الجرح والتعديل ٤/ ٢٥٨ والكاشف ١/ ٤٧٤ .

(٥) العلل ومعرفة الرجال ١/٢٥٣

(٦) المصدر نفسه ٣/٢٧.

(٧) ينظر: الجرح والتعديل ٤/ ٢٥٩ .



عندي لا بأس به وبرواياته[١]، قال الذهبي: وَقَالَ أَبُو سَلَمَةَ التَّبُوذكِي: كَانَ يُقَالُ: هُوَ أَعقَلُ أَهْلِ البَصْرَةِ. وَقَالَ النَّسَائِيُّ: لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ. وَقَالَ مَرَّةً: ثِقَةٌ [٢]، وضعفه ابن حبان فقال: كَانَ سيء الْأَخْذ كثير الْوَهم لَا يَجُوز الِاحْتِجَاج بِهِ إِذَا انْفَرد[٣]، وتعقبه الذهبي بقوله: قَدِ احْتَجَّ بِهِ الشَّيْخَانِ، وَلاَ يَنحَطُّ حَدِيْثُه عَنْ دَرَجَةِ الحَسَنِ[٤]، وقال ابن حجر: ثقة صاحب سنة، في روايته عن قتادة ضعف، من السابعة، مات سنة أربع وستين وقيل بعدها[٥]، وتعقبه بشّار عوّاد معروف وشعيب الارناؤوط في قوله: "في روايته عن قتادة ضعف"، بأنه أخذه من ابن عدي، وتصرَّف به تصرفًا غير سديد، ونص ابن عدي: "ليس بمستقيم الحديث عن قتادة خاصة ... ولم أر أحدًا من المتقدمين نسبه إلى الضعف، وأكثر ما في حديثه أن روايته عن قتادة فيها أحاديث ليست بمحفوظة لا يرويها عن قتادة غيره"، فهذه العبارة تفيدُ أنه قد يتفرَّد عن قتادة بأحاديثَ لا يرويها عن قتادة غيره، فهو إذن ليس بضعيفٍ فيما يرويه عن قتادة، وأيضًا فإن ما تفرد به عن قتادة لا نستطيع أن نجزمَ بضعفه، فإن كثيرًا من الثقات يتفردون عن بعض شيوخهم بروايات لا يرويها غيرهم. ويُمكن تضعيفُ روايته عن قتادة إذا كانت روايتُه تُخالف ما رواه أصحابُ قتادة، أما إذا روى ما لم يرووه، فهذا لا يُمكن الحكمُ عليه بالضعف[٦]، وأقّر قول البّزار فيه بأنه كان من خيار الناس وعقلائهم مغلطاي وابن حجر[٧]، وذكروا له أوصافاً أخرى زيادة في توثيقه، قال عبدالله بن أحمد بن حنبل: ثمَّ

(١) ينظر: الكامل في ضعفاء الرجال ٤/ ٣٢٢.

(٢) ينظر : سير أعلام النبلاء ٧/ ٩٦ .

(٣) ينظر : المجروحين ١/ ٣٤١.

(٤) ينظر : سير أعلام النبلاء ٧/ ٩٦ .

(٥) تقريب التهذيب ٢٦١.

(٦) تحرير تقريب التهذيب ٢/ ٩٨.

(٧) ينظر : اكمال تهذيب الكمال ٦/ ١٨٢ وتهذيب التهذيب ٤/ ٢٨٨ .



قَالَ أبي: كَانَ أَبُو عوَانَة وضع كتابا فِيهِ معايب أَصْحَاب رَسُول الله ﷺ وَفِيه بلايا فجَاء سَلام بن أبي مُطِيع فَقَالَ يَا أَبَا عوَانَة أَعْطِنِي ذَاك الْكتاب فَأعْطَاهُ فَأَخذه سَلام فأحرقه، قَالَ أبي: وَكَانَ سلام رجلا صَالحاً [(١)]، وَهُوَ يُعَدُّ مِنْ خُطبَاءِ أَهْلِ البَصْرَةِ، وَمِنْ عقلائهم، وَكَانَ كَثِيْرَ الحجِّ، وَمَاتَ فِي طَرِيْقِ مَكَّةَ[(٢)].

سابعاً: بشر بن الحسن أبو مالك أخو الحسين بن الحسن صاحب ابن عون، روى عن: عبد الله بن عون وعدة، روى عنه: عمر بن شبة وجماعة[(٣)]، وثقه هارون ابْن عَبْداللَّهِ الحمال وَقَال: ثقة ثقة وابن حبان والذهبي وابن حجر[(٤)]، وذكروا له أوصافاً أخرى تدّل على أنه من خيار الناس، وَقَال أَبُو بَكْر أَحْمَد بْن مُحَمَّد بْن صدقة البغدادي الحافظ: وإنما سمي الصفي، للزومه الصف الأول فِي مسجد البصرة خمسين سنة، وقال البزار: حدثنا أحمد بن ثابت الجحدري ثنا بشر بن الحسن وكان من أفاضل الناس[(٥)].

المصادر والمراجع:

١. الإرشاد في معرفة علماء الحديث، أبو يعلى الخليلي، خليل بن عبد الله بن أحمد ابن إبراهيم بن الخليل القزويني (المتوفى: ٤٤٦هـ) المحقق: د. محمد سعيد عمر إدريس، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.

٢. إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، أبو عبد الله مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري المصري الحكري الحنفي علاء الدين (المتوفى: ٧٦٢هـ) المحقق: أبي عبد الرحمن عادل بن محمد - أبي محمد أسامة بن إبراهيم، الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

(١) العلل ومعرفة الرجال ١/٢٥٣.
(٢) الكامل في ضعفاء الرجال٤/٣٢٢
(٣) ينظر: الجرح والتعديل ٢/ ٣٥٥ والكاشف ١/ ٢٦٧.
(٤) ينظر: تهذيب الكمال ٤/ ١١٣ والكاشف ١/ ٢٦٧ وتقريب التهذيب ١٢٣.
(٥) ينظر: تهذيب الكمال ٤/ ١١٣ وتهذيب التهذيب ١/ ٤٤٧.



٣. تحرير تقريب التهذيب للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الدكتور بشار عواد معروف، الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

٤. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) تحقيق: أبي قتيبة نظر محمد الفاريابي، الناشر: دار طيبة.

٥. تقريب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) المحقق: محمد عوامة، الناشر: دار الرشيد – سوريا الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.

٦. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، جمال الدين ابن الزكي أبو محمد القضاعي الكلبي المزي (المتوفى: ٧٤٢هـ) المحقق: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م.

٧. تهذيب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ.

٨. الثقات لابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي الدارمي، البُستي (المتوفى : ٣٥٤هـ) طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية، الناشر: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، الطبعة : الأولى، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م.

٩. الثقات للعجلي، أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلى الكوفي (المتوفى: ٢٦١هـ) الناشر : دار الباز الطبعة : الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م .

١٠. الجرح والتعديل، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ) الناشر: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر آباد الدكن – الهند، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٢٧١ هـ١٩٥٢ م.

١١. خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال (وعليه إتحاف الخاصة بتصحيح الخلاصة للعلامة الحافظ البارع علي بن صلاح الدين الكوكباني الصنعاني) المؤلف: أحمد بن عبد الله بن أبي الخير بن عبد العليم الخزرجي الأنصاري الساعدي اليمني، صفي الدين (المتوفى: بعد ٩٢٣هـ) المحقق: عبد الفتاح أبي غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية، دار البشائر - حلب، بيروت، الطبعة: الخامسة، ١٤١٦هـ



١٢. سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) الناشر: دار الحديث- القاهرة، الطبعة: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

١٣. الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح رحمه الله تعالى، إبراهيم بن موسى بن أيوب برهان الدين أبو إسحاق الأبناسي ثم القاهري الشافعي (المتوفى : ٨٠٢هـ) المحقق: صلاح فتحي هلل، الناشر: مكتبة الرشد، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٨هـ١٩٩٨م.

١٤. شرح التبصرة والتذكرة (ألفية العراقي)، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم ابن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (المتوفى: ٨٠٦هـ) المحقق: عبد اللطيف الهميم - ماهر ياسين فحل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٢ م.

١٥. شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر، علي بن سلطان محمد أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ) المحقق: قدم له : الشيخ عبد الفتح أبي غدة، حققه وعلق عليه : محمد نزار تميم وهيثم نزار تميم، الناشر: دار الأرقم – لبنان، بيروت، الطبعة: بدون.

١٦. الضعفاء والمتروكون، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) المحقق: عبد الله القاضي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ

١٧. العلل ومعرفة الرجال، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) المحقق: وصي الله بن محمد عباس، الناشر: دار الخاني، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٢ هـ- ٢٠١ م.

١٨. الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) المحقق: محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب، دار القبلة للثقافة الإسلامية - مؤسسة علوم القرآن، جدة، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

١٩. الكامل في ضعفاء الرجال، أبو أحمد عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد ابن مبارك بن القطان الجرجاني (المتوفى: ٣٦٥هـ) تحقيق: يحيى مختار غزاوي الناشر: دار الفكر، بيروت، سنة النشر ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٨م.

٢٠. لسان المحدثين (معجم مصطلحات المحدثين)، محمد خلف سلامة، الموصل: ٢٠٠٧/٢/١٤.

٢١. -١٧المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي الدارمي البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) المحقق: محمود إبراهيم زايد، الناشر: دار الوعي – حلب، الطبعة: الأولى، ١٣٩٦هـ.








الرواة الذين صرح بتوثيقهم ابن حبان في المجروحين

(الجزء الأول)

بقلم أبو الحسن
على بن حسن بن محمد آل سلام الأزهري
عفا الله عنه

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الملك الحق المبين، خالق السماوات والأرضين، مُرسل الرسل وهادي الناس من الضلال إلى النور المبين، وصل اللهم وسلم وبارك على النبي الأمين، أما بعد:

فبعد أن مَنَّ الله علي بفضله ومنته، وانتهيت من إعداد رسالتي في الماجستير: (المسائل الحديثية عند الإمام ابن حبان من خلال كتابيه الثقات والمجروحين دراسة وتحليل)، أو(مصطلح الحديث عند ابن حبان)، وبعدها كتبت جزءًا عن مصنفات ابن حبان وعنونته (تذكرة مصنفات ابن حبان المطبوعة والمخطوطة والمفقودة المبكى عليها) نشر على موقع الألوكة، واصلت في مشروعي في خدمة تراث هذا الإمام النَقَّاد الذي ظُلم كثيرًا، فكتبت هذا الجزء المعنون باسم: **(الرواة الذين صرح ابن حبان بتوثيقهم في المجروحين).**



وقد وجدت بعد استقراء لكتاب المجروحين غير مرة جمعًا من الرواة صرح ابن حبان بتوثيقهم، وبعد حصرهم تبين أن عددهم (٣٠) راويًا، أكثرهم قد ذكرهم ابن حبان في الثقات دون التصريح بالتوثيق أو بدرجتهم، وهذه فائدة مهمة: إذ هذا يدل على أن ابن حبان لديه غير ما ذكره في كتاب الثقات على الراوي، من تعديل وتجريح، وأنه حقًّا كتاب مختصر من كتابه التاريخ الكبير، هذا **أولًا**.

ثانيًا: وجدت بعض هؤلاء الرواة غير موجودين في الثقات أصلًا فتوثيقهم تفرد.

ومن باب إتمام الفائدة عَمِلتُ دراسة حاولت فيها الاختصار على كل راوٍ في الحكم عليه حتى يظهر موافقة حكم ابن حبان أو مخالفته.

ومما انتبهت له أن تسعين بالمائة من هؤلاء الرواة لم يَنتبه لهم أحد من النقاد أن ابن حبان قد تكلم عليهم وصرح بتوثيقهم في المجروحين، فكل من يحيل إلى كلامه يعزو على الثقات فقط، مع أن تصريحه عليهم في المجروحين مهم.

وأخيرًا أقول: جزى الله خيرًا شيخنا محدث الديار المصرية أحمد معبد عبد الكريم حيث كان دائمًا يحدثنا في مجالسه عن (الفائدة التي في غير المظنة) فلما وقفت على هؤلاء الرواة قلت: هم في نفس الباب فهممت لجمعهم ودراسة حالهم.



وقد تشرفت بنشر هذا الجزء في مجلة **(المحدث)** التابعة لمدرسة الحديث العراقية العريقة, وأخص بالذكر والشكر والعرفان **فضيلة الأستاذ الدكتور: قاسم الخزرجي وفقه الله** وكل الأساتذة والعلماء في هذه المدرسة المباركة.

والله أسأل أن يجعل عملي خالصًا لوجهه الكريم، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

***

الرواة مرتبين على حروف المعجم

(١) إبراهيم بن الوليد بن سلمة الطبراني.

قال ابن حبان في المجروحين في ترجمة الوليد بن سلمة الطبراني: كان يضع الحديث، وابنه إبراهيم بن الوليد بن سلمة ثقة[١].

وترجم له في الثقات فقال: من أهل طبرية مدينة بالأردن، يروي عن أبيه وقد جالس أبوه ابن عيينة وابن أبي فديك، حدثنا عنه سعيد بن هشام بن مرثد بطبرية يعتبر حديثه من غير روايته عن أبيه؛ لأن أباه ليس بشيء في الحديث[٢].

قال ابن أبي حاتم روى عنه أبي وأبو زرعة، وقال أبي: صدوق[٣].

---

(١) المجروحين (٢/ ٤٢٢ رقم١١٣٦).

(٢) الثقات (٨/٨٤، رقم١٢٣٤٧).

(٣) الجرح والتعديل (٢/١٤٢، ٤٦٦).

(٢) إبراهيم بن الأشعث البخاري لقبه "لام".

قال ابن حبان في المجروحين: إبراهيم بن الأشعث يقال له: لام، إمام من أهل بخارى ثقة مأمون[١].

وترجم له ابن حبان في الثقات فقال: يروى عن ابن عيينة وكان صاحبًا لفضيل بن عياض يروي عنه الرقائق روى عنه عبد بن حميد الكشي، يغرب ويتفرد ويخطئ ويخالف[٢].

ولكن الدارقطني في تعليقاته على المجروحين قال: قَالَ أَبُو الْحَسَنِ: إِبْرَاهِيم بْن الْأَشْعَث ضَعِيف، يحدث عَن الثِّقَات بِمَا لَا أصل لَهُ، وَزَعَمُوا أنه كَانَ من الْعبَّاد[٣].

قلت: قال ابن أبي حاتم الرازي: سألت أبي عنه وذكرت له حديثًا رواه عن معن عن ابن أخي الزهري عن الزهري فقال: هذا حديث باطل موضوع كنا نظن بإبراهيم بن الأشعث الخير أفقد جاء بمثل هذا؟![٤].

(١) المجروحين (١/٣٥٦، رقم ٣٢٢).
(٢) الثقات (٨/٦٦، رقم١٢٢٧٦).
(٣) تعليقات الدارقطني على المجروحين لابن حبان (٩٤) لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥هـ)، تحقيق: خليل بن محمد العربي، الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، دار الكتاب الإسلامي – القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م
(٤) الجرح والتعديل (٢/٨٨، رقم٢١٧).



وذكره ابن قطلوبغا في الثقات ونقل كلام ابن أبي حاتم السابق وابن حبان، ثم قال: قال الحاكم في التاريخ: قرأت بخط المستملي: حدثنا على بن الحسن الهلالي: ثنا إبراهيم بن الأشعث خادم الفضيل، وكان ثقة، كتبنا عنه بنيسابور(١).

(٣) بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة القشيري.

قال ابن حبان في المجروحين: كان يخطئ كثيرًا، فأما أحمد بن حنبل وإسحاق بن إبراهيم - رحمهما الله - فهما يحتجان به، ويرويان عنه، وتركه جماعة من أئمتنا، ولولا حديث: "إِنَّا آخِذُوهُ وَشَطْرَ إِبِلِهِ عَزْمَةٌ مِنْ عَزَمَاتِ رَبِّنَا"(٢) أدخلناه في الثقات، وهو ممن أستخير الله عز وجل فيه(٣).

قلت: وقال ابن أبي حاتم: عن يحيى بن معين: بهز بن حكيم ثقة.

قال علي بن المديني: بهز بن حكيم ثقة.

وقال أبي حاتم: هو شيخ يكتب حديثه ولا يحتج به.

وقال: وسئل أبي: عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أحب إليك أم بهز بن حكيم عن أبيه عن جده؟ قال: عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أحب إلي.

---

(١) الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة (١٥٢/٢، رقم٩٦٣) لابن قُطْلُوْبَغَا السُّوْدُوْنِي الحنفي (المتوفى: ٨٧٩هـ)، دراسة وتحقيق: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان.

(٢) رواه أحمد (٢/٤ و ٤) وأبو داود (١٥٧٥) والنسائي (١/ ٣٣٥ - ٣٣٦ و ٣٣٩) وغيرهم.

(٣) المجروحين (١٤٤).

وقال أبو زرعة: بهز بن حكيم صالح ولكنه ليس بالمشهور[١].

قال ابن عدي: وبَهْز بْن حكيم هَذَا قد روى عَنْهُ ثقات النَّاس وقد روى عَنْهُ الزُّهْريّ.. وجماعة من الثقات وأرجو أَنَّهُ لا بأس به فِي رواياته ولم أر أحدًا تخلف فِي الرواية من الثقات ولم أر لَهُ حديثًا منكرًا وأرجو أَنَّهُ إِذَا حدث عَنْهُ ثقة فلا بأس بحديثه[٢].

قال الدارقطني: لا بأس به[٣].

وقال النسائي ثقة، وقال الترمذي وقد تكلم شعبة في بهز وهو ثقة عند أهل الحديث، وقد كان شعبة متوقفًا عنه.

وقال أبو جعفر السبتي بهز بن حكيم عن أبيه عن جده صحيح.

وقال ابن قتيبة كان من خيار الناس.

وقال أحمد بن بشير أتيت البصرة في طلب الحديث فأتيت بهزًا فوجدته يلعب بالشطرنج مع قوم فتركته ولم أسمع منه[٤].

قلت: وقد جمع الحافظ بين كل هذه الأقوال فقال في التقريب: صدوق من السادسة روى له الأربعة والبخاري تعليقًا.

(١) الجرح والتعديل (٤٣٠/٢، رقم١٧١٤)
(٢) الكامل في الضعفاء (٢٥٢/٢).
(٣) سؤالات السهمي للدار قطني (رقم٧٢)
(٤) التهذيب (٤٣٧/١).



(٤) البراء بن يزيد الهمداني.

قال ابن حبان في المجروحين في ترجمة البراء بن يزيد الغنوي: وليس هذا بالبراء بن يزيد الهمداني الذي روى عنه وكيع، ذاك ثقة، وهذا ضعيف[(١)].

وذكره في الثقات فقال: يروي عن الشعبي روى عنه وكيع بن الجراح[(٢)].

قلت: قال ابن معين: الْبَرَاء بن يزِيد الْهَمدَانِي يحدث عَنهُ وَكِيع ثِقَة[(٣)].

(٥) أبو علي الدارمي اسمه بشر بن عبيد الدارسي.

من أهل البصرة صدوق، روى عنه عثمان بن خرزاد ويعقوب بن سفيان وأهل العراق[(٤)].

ذكره في الثقات فقال: بشر بن عبيد الدارسي أبو على من أهل البصرة يروى عن حماد بن سلمة والبصريين روى عنه يعقوب بن سفيان الفارسي ويقال له الدارس أيضا[(٥)].

---

(١) المجروحين (١/٢٢٧، رقم١٥٦).

(٢) الثقات (٦/١٠، رقم٦٩٤٠).

(٣) تاريخ ابن معين رواية الدوري (٤/١١٣، رقم ٣٤٢٩) تاريخ ابن معين (رواية الدوري) المحقق: د. أحمد محمد نور سيف، الناشر: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي - مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٣٩٩ – ١٩٧٩.

(٤) المجروحين (١/٣٣٦، رقم٢٨٨).

(٥) الثقات (٨/١٤١، رقم١٢٦٤٥).

(٦) جبرون بن عيسى بن يزيد الأفريقي.

قال ابن حبان في المجروحين: في ترجمة سعيد بن محمد بن أبي موسى، قال حدثنا بصحيفته محمد بن عبد الرحمن، قال: حدثنا جبرون بن عيسى بن يزيد الأفريقي، قال: حدثنا سحنون بن عيسى التنوخي، قال: حدثنا سعيد بن محمد بن أبي موسى، عن ابن المنكدر، عن جابر.

ثم قال عقبه: وجبرون وسحنون ثقتان، والبلية في تيك الأحاديث من سعيد بن محمد[(١)].

وقال في ترجمة سحنون: روى عنه جبرون بن عيسى بن خالد بن يزيد الإفريقي البلوي[(٢)].

قلت: وليس لجبرون بن عيسى هذا ترجمة ولا ذكر في ثقات ابن حبان، إلا أنه قال في ترجمة سحنون عيسى يروي عنه جبرون فقط.

وليس له ذكر في المجروحين إلا في الإسناد السابق والتصريح بالتوثيق له مع سحنون بن عيسى.

قال الدارقطني: جَبْرُون بن عيسى البلوي، كان يحدث بمصر، عن يَحْيَى بن سُلَيْمان الحفري بنسخة..[(٣)].

---

(١) المجروحين (٤١٠/٨، ٣٩٩).
(٢) الثقات (٣٩٩/٨، رقم ١٣٥٥٠).
(٣) المؤتلف والمختلف (٨٤٩/٢)



وقال صاحب إرشاد القاصي والداني إلى تراجم شيوخ الطبراني:

حدث عن: يحيى بن سليمان الجعفي المغربي، وسحنون بن سعيد.

وعنه: أبو القاسم الطبراني في " المعجمين "، وأبو الحسن المصري، وغيره من المصريين.

قال المنذري: لم أقف فيه على جرح ولا تعديل. وقال الهيثمي: لم أعرفه. وقال الحافظ ابن حجر: واهي الحديث. وقال الألباني: لم أعرفه[١].

قلت: ولا ندري ما مستند الحافظ في قوله عنه أنه واهي الحديث.

(٧) حفص بن عمر المهرقاني.

قال ابن حبان في المجروحين: حفص بن عمر المهرقاني هذا ثقة متقن من أهل الري[٢].

وذكره في الثقات فقال: من أهل الري يروي عن عبيد الله بن موسى وأهل العراق ثنا عنه أصحابنا بالري حسن الحديث يغرب كنيته أبو عمر[٣].

---

(١) إرشاد القاصي والداني إلى تراجم شيوخ الطبراني (٢٣٢) لأبي الطيب نايف بن صلاح بن علي المنصوري، قدم له: د سعد بن عبد الله الحميد ، راجعه ولخص أحكامه وقدم له: أبو الحسن المأربي ط: دار الكيان - الرياض، مكتبة ابن تيمية – الإمارات.

(٢) المجروحين (١/٥٣٧، رقم٥٥٨).

(٣) الثقات (٨/٢٠١، رقم١٢٩٨١).



قلت: قال أبو زرعة: صدوق ما علمته إلا صدوقًا. وقال أبو حاتم الرازي: صدوق[(١)].

قال الذهبي: ثقة[(٢)]. وقال الحافظ: صدوق روى له النسائي[(٣)].

(٨) حصين بن جندب الجَنبي أبو ظبيان الكوفي.

قال ابن حبان في ترجمة قابوس بن أبي ظبيان: اسم أبي ظبيان حصين بن جندب، يروي عن أبيه، وأبوه ثقة[(٤)].

وقال في الثقات: حصين بن جندب الجَنبي أبو ظبيان الكوفي يروي عن علي بن أبي طالب وسلمان روى عنه إبراهيم والأعمش وهو والد قابوس بن أبي ظبيان مات سنة ست وتسعين[(٥)].

قلت: وروى له ابن حبان في الصحيح أيضًا.

قال ابن حجر في التهذيب: روى له الجماعة، وقال ابن معين والعجلي وأبو زرعة والنسائي والدارقطني ثقة[(٦)].

---

(١) الجرح والتعديل (٢/١٨٤، ٧٩٣).

(٢) الكشاف (رقم١١٥٤).

(٣) التقريب (١٤١٥).

(٤) المجروحين (٢/٢١٩، رقم ٨٨٢).

(٥) الثقات (٤/١٥٦، رقم٢٢٥٦).

(٦) تهذيب التهذيب (رقم٦٥٤).

(٩) سعيد بن زيد أخو حماد بن زيد.

قال ابن حبان في المجروحين: أخو حماد بن زيد، مولى لآل جرير بن حازم، من أهل البصرة، كنيته أبو الحسن، يروي عن عبد العزيز بن صهيب، وعلي بن الحكم، وعنه حماد بن زيد أخوه والبصريون، **(وكان صدوقًا حافظًا)** ممن كان يخطئ في الأخبار، ويهم في الآثار حتى لا يحتج به إذا انفرد[١].

وقال الدارقطني في تعليقاته على المجروحين: قَالَ عَبْد اللَّهِ: سَأَلت أبي عَنهُ، فقَالَ: لَيْسَ بِهِ بَأْس، وقَالَ يَحْيَى بْن معِين: سعيد بْن زيد ثِقَة[٢].

وقال ابن أبي حاتم عن ابن معين: ليس بقوي، قلت يحتج بحديثه؟ قال يكتب حديثه.

وقال ابن أبي حاتم سئل أبو زرعة عن سعيد بن زيد فقال: سمعت سليمان بن حرب يقول: حدثنا سعيد بن زيد وكان ثقة[٣].

قال النسائي: لَيْسَ بِالْقَوِيّ بَصرِي[٤]

قال الحافظ في التهذيب: وقال الجوزجاني يضعفون حديثه، وقال ابن سعد روي عنه وكان ثقة مات قبل أخيه، وقال العجلي بصري ثقة، وقال أبو زرعة سمعت

---

(١) المجروحين (٨/١٠٤، رقم ٣٨٨).
(٢) تعليقات الدارقطني علي المجروحين (١٠٦، رقم١١٦).
(٣) الجرح والتعديل (٤/٢١)، رقم: ٨٧).
(٤) الضعفاء والمتروكين للنسائي رقم: (٢٥٣).

سليمان بن حرب يقول ثنا سعيد بن زيد وكان ثقة، وقال أبو جعفر الدارمي ثنا حبان بن هلال ثنا سعيد بن زيد وكان حافظا صدوقا، قال ابن عدي وليس له منكر لا يأتي به غيره وهو عندي في جملة من ينسب إلى الصدق، وقال ابن حبان كان صدوقا حافظا ممن كان يخطئ في الأخبار ويهم حتى لا يحتج به إذا انفرد، وقال أبو بكر البزار لين وقال في موضع آخر لم يكن له حفظ وقال الدارقطني ضعيف[(١)].

قال الحافظ ابن حجر: صدوق له أوهام[(٢)].

روى له البخاري تعليقًا، ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه.

قلت: وحكم الحافظ في التقريب كأنه مستفاد من كلام ابن حبان وابن عدي والله أعلم.

(١٠) سعيد بن خالد بن عبد الله بن قارظ الزهري.

قال ابن حبان في المجروحين: ترجمة سعيد بن زيد الخزاعي: وليس هذا سعيد بن خالد الذي يروي عنه ابن أبي ذئب، ذاك ثقة، يروي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن[(٣)].

---

(١) تهذيب التهذيب (٣٢/٤).
(٢) التقريب (رقم٢٣١٢).
(٣) المجروحين (٤٠٨/١، رقم٣٩٥).



وترجم له في الثقات فقال: أخو المسور بن خالد من أهل المدينة يروي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن روى عنه بن أبي ذئب مات في آخر ولاية بني أمية حدثنا[١].

وروى عنه في الصحيح كما في حديث (٦٠٣)، (١٢٤٤).

قال الحافظ في التهذيب: قال النسائي ضعيف، وقال الدارقطني مدني يحتج به، وذكره ابن حبان في الثقات، قلت: وكذا أرخه ابن حبان وقال النسائي في الجرح والتعديل ثقة، فينظر في أين قال إنه ضعيف[٢].

قال الحافظ في التقريب: صدوق. روى له الإمام أحمد والدارمي وأبو داود والنسائي وابن ماجه.

قلت: قال شيخنا بشار عواد في تعليقه على تهذيب الكمال: لم أجده في ضعفاء النَّسَائي، ولا أعلم من أين نقله صاحب "الكمال" الذي نقل منه المؤلف. وقد ذكر مغلطاي وابن حجر أن النَّسَائي قال في كتاب الجرح والتعديل "ثقة وذكر مغلطاي أنه بحث في تصانيف النَّسَائي فلم يجد هذا القول، أعني تضعيفه. وذكر مغلطاي أيضا أن ابن خلفون نقل توثيق النَّسَائي له في ثقاته[٣].

(١) الثقات (٣٥٧/٦، رقم٨٠٩٤).

(٢) تهذيب التهذيب (١٨/٤).

(٣) تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٤٠٥/١٠، رقم٢٢٥٨) أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (المتوفى: ٧٤٢هـ)، ت: د. بشار عواد معروف الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠.




قلت: فهو ثقة كما صرح بذلك ابن حبان وقبله النسائي ومن بعدهم الدارقطني بقوله محتج به.

وهذا الذي رجحه شيخنا بشار في تحريره على التقريب (٢/٢٥، رقم٢٢١٩)، وفي تعليقه على تهذيب الكمال كما مر.

(١١) سحنون بن عيسى التنوخي.

قال ابن حبان في المجروحين: في ترجمة سعيد بن محمد بن أبي موسى: قال حدثنا بصحيفته محمد بن عبد الرحمن، قال: حدثنا جبرون بن عيسى بن يزيد الأفريقي، قال: حدثنا سحنون بن عيسى التنوخي، قال: حدثنا سعيد بن محمد بن أبي موسى، عن ابن المنكدر، عن جابر.

ثم قال عقبه: وجبرون وسحنون **ثقتان**، والبلية في تيك الأحاديث من سعيد بن محمد[١].

وترجم لسحنون في الثقات فقال: من أهل إفريقية من فقهاء أصحاب مالك ممن جالسه مدة، روى عنه أكثر من ثلاثين ألف مسألة وكان يُفرع على مذهبه وهو الذي أظهر علم مالك ومذهبه بالمغرب، روى عنه جبرون بن عيسى بن خالد بن يزيد الإفريقي البلوي[٢].

---

(١) المجروحين (٨/٤١٠، ٣٩٩).

(٢) الثقات (٨/٣٩٩، رقم ١٣٥٥٠).





قال الحافظ في لسان الميزان: تكلم فيه أبو يعلى الخليلي فقال لم يرض أهل الحديث حفظه، وأثنى عليه أبو العرب كثيرًا فقال انتشرت إمامته وسلم له أهل عصره واجمعوا على فضله وتقدمه واجتمعت فيه خلال قلما اجتمعت في غيره الفقه والورع والصرامة والزهادة والحسن والسماحة[1].

(١٢) سليمان بن داود الخولاني.

قال ابن حبان في المجروحين في ترجمة سليمان بن داود اليمامي: وقد ذكر أن الدارمي نقل تضعيف ابن معين لسليمان بن داود، فعلق عليه الدارمي فقال: أرجو أنه ليس كما قال يحيى، فإن يحيى بن حمزة روى عنه أحاديث حسانًا كأنها مستقيمة.

فعلق ابن حبان عليهما وفَصَّل فيه فقال: هذا شيء قد اشتبه على شيوخنا لاتفاق الاسمين، أما سليمان بن داود اليمامي الذي يروي عن الزهري ويحيى بن أبي كثير فهو ضعيف، كثير الخطأ، وسليمان بن داود الخولاني الذي يروي عن الزهري حديث الصدقات فهو دمشقي صدوق مستقيم الحديث، إنما وقع التشبيه في هذا، لأنهما جميعًا رويا عن الزهري، فمن يمعن النظر في تخليص أحدهما من الآخر اشتبه عليه أمرهما، وتوهم أنهما واحد[2].

وترجم له في الثقات فقال: من أهل دمشق يروي عن الزهري قصة الصدقات روى عنه يحيى بن حمزة وقد روى أبو اليمان عن شعيب عن الزهري بعض ذلك

---

(١) لسان الميزان (١٠/٤، رقم٣٦٧١)

(٢) المجروحين (٤٢١/٢، رقم٤١٤).



الحديث وليس هذا بسليمان بن داود اليمامي ذلك ضعيف وهذا ثقة وقد رويا جميعا عن الزهري[1].

وترجم له في المشاهير أيضا فقال: صدوق اللهجة متقن في الرواية يروى عن الزهري وليس هذا سليمان بن داود اليمامي ذاك ضعيف وهذا ثقة[2].

وروى له في الصحيح وقال: سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ. هَذَا. هُوَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ الْخَوْلَانِيُّ مِنْ أَهْلِ دِمَشْقَ ثِقَةٌ مَأْمُونٌ

وَسُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ الْيَمَامِيُّ لا شيء وجميعًا يرويان عن الزهري[3].

وقال أبو داود: ثقة[4].

وقال ابن أبي عاصم: يَحيَى بْنُ حَمْزَةَ رَوَى عَن سُلَيْمَانَ بنِ دَاوُدَ الْخَوْلاَنِيِّ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ عُمَرَ بنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، مَشْهُورٌ، فَإِنْ كَانَ فَهُوَ ثِقَةٌ، وَإِنْ كَانَ الْحَرَّانِيُّ، فَلَيْسَ بِشَيْءٍ[5].

---

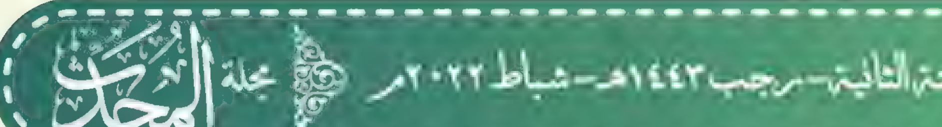
(١) الثقات (٣٨٧/٦، رقم٨٢٢٤).

(٢)المشاهير (رقم١٤٧١).

(٣) الصحيح (٢٧٩/٩).

(٤) المراسيل (٢١١) لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني المتوفى: ٢٧٥هـ)، ت: شعيب الأرناؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨

(٥) الدِّيَات (٢٠٠) لأبي بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني المتوفى: ٢٨٧ هـ، ت: عبد المنعم زكريا، الناشر: دار الصميعي – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ

وقال الحاكم في المستدرك: عِنْدَنَا مِمَّنْ لَا بَأْسَ بِهِ، قَالَ أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ: وَسَمِعْتُ أَبَا زُرْعَةَ يَقُولُ ذَلِكَ[١].

قال البخاري فيه نظر[٢].

وقال ابن حجر في التهذيب: أما سليمان بن داود الخولاني فلا ريب في أنه صدوق. روى له أبو داود في المراسيل والنسائي[٣].

(١٣) عبد الرحمن بن أبي الصهباء البصري.

قال ابن حبان في ترجمة سلام بن أبي الصهباء: ومن زعم أن هذا أخو عبد الرحمن بن أبي الصهباء فقد وهم، هما جميعًا بصريان، يرويان عن ثابت، ولا قرابة بينهما، ذاك صدوق، وهذا يخطئ[٤].

وترجم له في الثقات دون التصريح بدرجة التوثيق فقال: عبد الرحمن بن أبي الصهباء بصري يروي عن أبي غالب نافع الباهلي عن أنس روى عنه أحمد بن عبد الملك بن واقد الحراني[٥].

---

(١) المستدرك (١/٥٥١، رقم١٤٤٨)، ت: العلامة الوادعي.

(٢) التاريخ الكبير (٤/١٠، رقم١٧٩٠)

(٣) التهذيب (٤/١٦٥، رقم٣١١).

(٤) المجروحين (١/٤٣١، رثم٤٢٣).

(٥) الثقات (٧/٨٥، رقم٩١١٦).

قال الشيخ شعيب في تحقيق المسند: روى عنه جمع، وذكره البخاري في "تاريخه " ٢٩٨/٥، وابن أبي حاتم ٢٤٦/٥، فلم يؤثرا فيه جرحاً ولا تعديلاً[1].

قلت: فهو صدوق كما قال ابن حبان.

(١٤) سفيان بن حسين بن حسن السلمي.

قال بن حبان في المجروحين: يروي عن الزهري المقلوبات، **وإذا روى عن غيره أشبه حديثه حديث الأثبات**، وذاك أن صحيفة الزهري اختلفت عليه، فكان يأتي بها على التوهم، فالإنصاف في أمره تنكب ما روى عن الزهري **والاحتجاج بما روى عن غيره**[2].

وذكره في الثقات: من أهل واسط يروي عن عطاء وطاووس والزهري وأما روايته عن الزهري فإن فيها تخاليط يجب أن يجانب وهو ثقة في غير حديث الزهري مات في ولاية هارون يجب أن يمحى اسمه من كتاب المجروحين[3].

وروى له في الصحيح برقم (٤٩٥٥).

قال الدارمي وَسَأَلته عَن سُفْيَان بن حُسَيْن فَقَالَ ثِقَة وَهُوَ ضَعِيف الحَدِيث عَن الزُّهْرِيّ[4].

---

(١) المسند(رقم١٣٨١٤).
(٢)المجروحين (٤٥٥/١، رقم٤٦٤)
(٣) الثقات (٤٠٤/٦، رقم٨٣٠١).
(٤) سؤلات الدارمي لابن معين (رقم١٩) ،



وَسَأَلت أَبَا عبد الله عَن سُفْيَان بن حُسَيْن فَقَالَ لَيْسَ هُوَ بِذَاكَ فِي حَدِيثه عَن الزُّهْرِيّ شَيْء[١]

وقال ابن حجر في التهذيب: سفيانُ بن حُسين بن حَسَن، أبو محمد أو أبو الحسن، الواسطي: ثقةٌ في غير الزهري باتفاقهم روي له البخاري تعليقًا، ومسلم في المقدمة والأربعة[٢].

(١٥) عبد الله بن بَحِير بن ريسان.

قال ابن حبان في المجروحين في ترجمة: أبو وائل القاص، اسمه عبد الله بن بَحِير الصنعاني، وليس هذا بعبد الله بن بحير بن ريسان، ذاك ثقة، وهذا واه[٣].

وذكره في الثقات فقال: من أهل اليمن يروي عن أبي طاووس روى عنه عبد الرزاق[٤].

قال المزي في تهذيب الكمال: قال عَنْ يحيى بْن معين: ثقة[٥].

---

(١) من كلام أحمد بن حنبل في علل الحديث ومعرفة الرجال (٤١، رقم٢٦)، ت: صبحي البدري السامرائي ، الناشر: مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩

(٢) التقريب (رقم٢٤٣٧).

(٣) المجروحين (١/٥٤٨،٥١٨).

(٤) الثقات (٨/٣٣١، رقم١٣٧١٩).

(٥) تهذيب الكمال (١٤٣٢٣، رقم ٣١٧٤).

قال ابن حجر: عبد الله بن بَحِير، بفتح الموحدة وكسر المهملة، بن رَيْسَان، بفتح الراء وسكون التحتانية بعدها مهملة، أبو وائل القاص، الصنعاني: وَثَّقه ابن مَعِين، واضطرب فيه كلام ابنِ حِبّان[1].

قلت: ابن حبان لم يضطرب فيه بل فَرَّق بينهما فجعل أبي وائل القاص رجل وضعفه في المجروحين، وعبد الله بن بحير رجل آخر وصرح بتوثيقه في ترجمة القاص في المجروحين، قال ابن ناصر الدين عمن جعلهما واحد: وَهَذَا وهم فَإِن ابْن ريسان غير أبي وَائِل الْقَاص فرق بَينهمَا أَبُو بكر الْخَطِيب فِي التَّلْخِيص والأمير فِي الْإِكْمَال وَغَيرهمَا من الْأَئِمَّة[2].

قلت: بل ابن حبان قد فرق بينهما قبل الخطيب.

***

وكتبه الراجي غفران ربه **أبو الحسن الأزهري** عامله الله بلطفه في ١٥ محرم١٤٤٣هـ

يليه الجزء الثاني

---

(١) التقريب (رقم٣٢٢٢).

(٢) توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم (٣٥٣/١) لمحمد بن عبد الله (الشهير بابن ناصر الدين (المتوفى: ٨٤٢هـ)، ت: محمد نعيم العرقسوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٣م




المسؤولية
حقا تكليف، أم تشريف؟

د. محمد ياسين
عضو هيئةِ تحرير مجلة المحدث

"**تولي المنصب تكليف وليس تشريفاً**"، عبارة تتردد على الأسماع كثيرا حتى باتت من المسلمات، لكن نظرياً فحسب، فواقع المنصب وما فيه من وجاهة ومميزات ولربما حتى حجاب على الباب، جعل الأمور تأخذ منحى آخر، فهو اليوم تشريف قبل أن يكون تكليفا ودليل ذلك حجم التبريكات والتهاني التي يتلقاها كل واحد منا حين استلامه لمنصب أو مسؤولية، وتغير نظرة الناس اليه، تناسينا معها الهدي النبوي في التعامل مع هذا التشريف الذي كان في أصله تكليفا.

أولاً لنتذكر قول الله عز وجل في محكم كتابه ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[١]، فالذي يطلب الآخرة ليس من صفاته طلب العلو في الدنيا، وإن ناله، وجاء في الحديث عن النبي ﷺ: ((ما ذئبان جائعان أُرسلا في غنمٍ بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه))[٢]، وهو ما بينه ابن الجوزي: (متى كان العالم مقبلًا على الله سبحانه، مشغولًا بطاعته، كان أصعب الأشياء عند لقاء الخلق ومحادثتهم، وأحب الأشياء إليه الخلوة، وكان عنده

---

(١) القصص: ٨٣.
(٢) سنن الترمذي ٤/ ٥٨٨ حديث رقم ٢٣٧٦ .



شغل عن القدح في النظراء، أو عن طلب الرئاسة، فإن ما علق به همته من الآخرة أعلى من ذلك)[١].

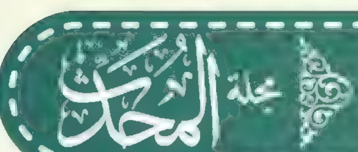
وعن سفيان الثوري رحمه الله قال: ما رأيت زهدًا في شيءٍ أقل منه في الرئاسة، ترى الرجل يزهد في المطعم والمشرب والمال والثياب فإن نوزع الرئاسة تحامى عليها وعادى[٢]. ولذلك لم يكن من هدي السلف الحرص على تولي المسؤولية، وود كل واحد منهم أن لو كفاه أخاه، وهذا ما يحدث إذا سكن الإيمان القلب، واذا ضعف هذا الإيمان سنجد أنفسنا نحب تولي المسؤولية والرياسة وأن يشار لنا بالبنان، ولنتذكر دوماً أن الحرص على المسؤولية ليس من صفات المؤمنين، وقد استفاضت الأحاديث في هذا الباب منها قوله ﷺ: «إنكم ستحرصون على الإمارة، وستكون ندامة يوم القيامة»[٣]، وعندما سأله رجل أن يوليه المسؤولية أجاب ﷺ: «إنا لا نولي هذا من سأله، ولا من حرص عليه»[٤].

فهل ما زلنا نحرص على المسؤولية؟ ونبارك ونقدم التهاني لمن ابتلاه الله بها، فلنراجع ثوابتنا من جديد.



(١) صيد الخاطر ص: ٢٦٤ رقم ٨٢٧.
(٢) سير أعلام النبلاء ط الرسالة ٧/ ٢٦٢ رقم ٨٢.
(٣) صحيح البخاري؛ برقم: ٧١٤٨.
(٤) صحيح البخاري؛ برقم: ٧١٤٩.







سيرة شيخ
من شيوخ مدرسة الحديث العراقية
الشيخ ليث الحيالي
(وفقه الله)

العبدُ الفقيرُ الى اللهِ مِن مواليدِ ١٣٩٨هـ، مهندس زراعي خريج جامعة بغداد سنة ١٤١٨هـ وكنت الثالث على العراق بعد دخولي الامتحان سنة ١٤١٩هـ وأنا أَحدُ طُلَّاب العلمِ الذينَ قضوا حياتَهُم في طَلَبِ العلمِ عندَ المشايخِ في المساجدِ منذُ ما يقارب خمسة وعشرين سنةً وما زلتُ أَطلب العلمَ، مجاز بالقرآنِ والسّنَّة وعلمِ المواريثِ والنحو والفِقه على المذاهبِ الأَربعةِ والأُصولِ، لي عَشرات المُصنّفات والتحقيقاتِ العلمية، تتلمذتُ على يدِ المشايخِ والعُلماء، مجاز بالكتبِ التّسعةِ، وبأعلى أسانيد العالم الإسلاميّ مِن شيوخِ العراقِ والهندِ وباكستانِ والحجازِ واليمَن والشام بأسانيدَ عديدة كما هو في ثَبَتِنَا.

١. الْأَسَانِيد الحيالية إِلَى الْمُتُون الْعِلْمِيَّة.
٢. أَسَانِيد الحيالي إِلَى الثَّبَت الْعَوَالِي.
٣. أَسَانِيد الحيالي إِلَى صَحِيحِي مُسْلِم وَالْبُخَارِيُ.
٤. الْأَسَانِيد العوالي لِأَبِي عَبدِ اللَّهِ لَيثٌ الحيالي لِلْكُتُب التِّسْعَة.

ودرسنا وقرأنا وسمعنا لمئاتِ المُصنّفاتِ روايةً ودرايةً ومدارسةً وآلاف المجالسِ العلميّة، ومسؤول موقع فتاوى إسلامية، ومدير للمدرسة الحياليّة للعلومِ الشّرعيةِ، ومدرس ومُقرِئ وعضو بعدةِ معاهد وأكاديميات ومدارس إسلامية في الحديثِ والفقه والأصول والمواريث.

مِن شيوخي في الرواية والدّراية:

١. **الشَّيخُ المُحَدِّثُ صُبْحِي السامَرّائيُّ** (رَحِمَهُ الله) (١٣٥٤-١٤٣٤) أخذنا عنه البخاري وابن كثير وأصول الفقه الورقات روايةً لبعضهِ.

٢. **العلاّمةُ المحدِّث مُحمّدُ بنُ عليّ بنِ آدم بنِ مُوسى الإثيوبي الوَلَّوي** (رَحِمَهُ الله)





(١٣٦٥-٢١ ١٤٤٢هـ) صحيحُ البخاريّ ومسلم وسُنن أبي داود والتّرمذي وعُمدة التّفسير وألفية السّيوطي في علمِ الحديثِ روايةً ودرايةً بشرحهِ، وبعضُها خُتِمَت وبعضُها توفى (رَحِمَهُ اللهُ) ولم تُكمَل.

٣. **الشَّيْخُ المُعمَّرُ ظَهير الدِّينِ حُسَين آبَادِي المباركفوريُّ** (رَحِمَهُ اللهُ) (١٣٤١-١٤٣٨هـ) أخذتُ منهُ صحيح مسلم سماعاً قراءةً عليهِ لغالبهِ وإجازةً بالباقي، وهو أعلى إسناد سماعي لصحيحِ مسلم في العالم الإسلامي، وسنن النسائي الكبرى وتفسير ابن كثير ومسند الإمام أحمد روايةً بأفواتٍ معلومةٍ، والإجَازةُ العامّة منهُ.

٤. **الشَّيْخُ المُعمَّرُ مُحَمَّد الأنصاري بن عَبْد العَلِيُّ بن عَبْدالله الأعظمي الأَثَرِيُّ الهِنْدِيُّ** ولد (١٣٤٨هـ). أخذتُ منهُ سماعاً بالقِراءةِ عليهِ صحيح البُخاريّ وصحيح مُسلم، والإجَازةُ العامّة منهُ، وإسنادُهُ من أعالي الأسانيد فيروي عَن شيخ الهندِ نَذيرِ الدّهلويّ بواسطةٍ واحدةٍ.

٥. **الشَّيْخُ المُعمَّرُ ثنَاء الله مَدَنِيّ بن عِيسَى خَانَ البَاكِسْتَانِيَّ السَّلَفِيَّ.** (رَحِمَهُ اللهُ) (١٣٦٠-١٤٤٢). أَخذتُ منهُ سماعاً بالقِراءةِ عليهِ صحيح البُخاريّ وبعض متونِ العقيدةِ، والإجَازةُ العامّة منهُ.

٦. **الشَّيْخُ المُعمَّرُ مُحَمَّدٌ ثَنَاءُ اللهُ بن مُحَمَّد دَاَنِش السَلَفِيُّ البهاريُّ** (رَحِمَهُ اللهُ) (١٣٤٧-١٤٣٩)، سنن التّرمذي بأفوات والإجَازةُ العامّة منهُ.

٧. **الشَّيْخُ المُعمَّرُ المُحَدِث مُحمَّدُ يُونُس بن شَبّير أحمَدَ الجَوْنفوريُّ السَّهَارَنْفُوريُّ** (رَحِمَهُ اللهُ). (١٣٥٥-١٤٣٨هـ). المُسلسلات الحديثية والإجَازةُ العامّة منهُ.

٨. **العَلاّمَةِ الفَقيهِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ شَرِيفِ حَنُّوشِ اَلْتُرْكِسْتَانيِّ الْمُنْبَجِيِّ الحَلَبِيّ** (رَحِمَهُ اللهُ) (١٣٦٩ – ١٤٣٨). المُسلسلات وثلاثيات البخاري ومسند الإمام أحمد وبعض المتون وهو ممن قرءَ المسنَد كاملاً على العلّامة مُحَمَّد المُنْتَصِر الكَتّانيّ الإِدْرِيسيّ (١٣٣٢-١٤١٩)، وأَخذتُ الإجَازة العامّة منهُ.

٩. **الشَّيْخُ المُقرِئ اَلمُعَمَّرُ شيخ قراء بلاد الشام العلّامة مُحَمَّد كريّم بن سعيد راجح** أَخذتُ منهُ الشاطبية والجزرية وبعض المنظومات، والإجَازةُ العامّة منهُ.

١٠. **الشَّيْخُ اَلمُعَمَّرُ عبدُ المحسنِ بنِ حمدِ العبادِ البدرِ** أخذتُ منهُ البخاريّ روايةً ودرايةً بأفوات.

١١. **الشَّيْخُ المُعمَّرُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَبْدِالْحَيِّ الْكَتَّانِيّ** ولد (١٣٣٨هـ). أَخذتُ منهُ سماعاً بالقِراءةِ عليهِ صحيح البُخاريّ والأولية والإجَازةُ العامّة **وهو مُسنِدُ العَصرِ إسنادُه يعتبرأعلى إسناد في العالم الإسلاميّ.**

١٢. **العَلامَةُ النَّحْويُّ مُحَمَّدُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ شَميلَةَ الأَهْدَلِ صاحِبُ كِتابِ الأَلْفِيَّةِ فِي النَّحْوِ** درستُ عندَهُ الآجرومية روايةً ودرايةً وأخذتُ منهُ روايةً لبعضِ المنظومات والمصنفاتِ كألفية العراقي في السيرة والشمائِل النبوية وغيرها.

١٣. **الشَّيْخُ اَلْمُعُمَّرُ الفَقيهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعْدِ بْنِ مُحَمَّدِ العَيّافِ الدَّوْسَري اَلْوَدَعانيُّ**. (رَحِمَهُ اللهُ) (١٣٦٠-١٤٤٢)، أخذتُ منهُ كتب العقيدة كالعقيدة الواسطية والفتح المجيد وغيرها، وصحيح مسلم، ومسند الإمام أحمد، والروض المربع، **وغيرها بأفوات معلومة.**

١٤. **الشَّيْخُ الْمُعَمَّرِالقاضيّ عَبْدِ الْعَزيزِالوَشَّاح الإبي اليمنيّ** (رَحِمَهُ اللهُ) (١٣٤٧-١٤٤١)، أَخذتُ منهُ سلّم الوصول للحافظِ الحَكمي وهو يرويها عنهُ مباشرةً، والإجَازةُ العامّة منهُ.

١٥. **الشَّيْخِ اَلْمُعَمَّرِ مُحَمَّدِ إِسْرائيلَ بْنِ مُحَمَّدِ إِبْراهيمَ بْنِ عَبْدِ الحَليمِ بْنِ دَرِيَا السَّلَفِيِّ اَلْنَّدويِّ** (رَحِمَهُ اللهُ)(١٣٥٣-١٤٤٠)، أخذتُ منهُ صحيح البخاريّ وسنن التّرمذي وبلوغِ المرام للعسقلانيّ والإجَازةُ العامّة منهُ.

١٦. **الشَّيْخُ المُعَمَّرُ المُقرِئ عَلي مُحَمَّد حَسَنِ العريان تلميذ المُقرِئِ عثمان سليمان مراد** (١٣٨٢ هـ)، سمعتُ عليها منظومات الشّيخ عثمان وبعض المنظومات، والإجَازةُ العامّة منهُ.

١٧. **الشَّيْخِ المُعَمَّرِ قَمَرِ الدِّينِ بنِ مَحْمُودٍ بنِ شَمَّسِ الدِّينِ الحسنيّ الكجراتيّ الهِنْدِيِّ** (رَحِمَهُ اللهُ) (١٣٥٨-١٤٤٢). أَخذتُ منهُ سماعاً بالقِراءةِ عليهِ صحيح مُسلم وسنن التّرمذي بأفوات معلومة، وبعضُ المنظوماتِ العلمية كالرحبية، والإجَازةُ العامّة منهُ.

١٨. **الشَّيْخُ المُعَمَّرُ النَّحَوي عَلي صَالِح الأَزْهَرِيُّ** أَخذتُ منهُ متون اللغة والصّرف روايةً ودرايةً وهو يروي عنِ العلّامة مُحَمَّدِ محيي الدّين عبدِ الحميدِ، وأخذت منهُ بعض المنظومات والمتون.



١٩. **الشَّيْخُ العلّامة حَسَّان أَحْمَدَ المظاهريّ المُهَاجِرِ المَدَنِيّ الهِنْدِيِّ** (رَحمهُ اللهُ تعالى) (١٣٧٦-١٤٤٠) أخذتُ منهُ الكتب التسعة والمسلسلات وعشرات ومئات المجالس العلمية روايةً بأفواتٍ معلومةٍ وهو يروي عَن العلّامةِ مُحَمَّدُ زَكَرِيَّا الكَانْدَهْلويُّ (١٣١٥-١٤٠٢هـ).

٢٠. **الشَّيْخُ النَّحْويُّ المُقرِئِ أبو عبدِ الرحمنِ مُحَمَّد بن جبار العامريّ** درستُ عندَهُ القراءات العشرة الشاطبية والدرة، ومتون النحو والصرف والحديث والعقيدة والأصول ودرستُ عندهُ المذهب الحنبلي، أجازني بالقرآن بعدَ ثلاث سنوات قراءة مع نكتِ التفسيرِ، والبلاغةِ والنحوِ.

٢١. **الشَّيْخُ المُعمَّرُ الفرضيّ مُحَمَّد موفق المرابع الدمشقيّ** أجازني روايةً ودرايةً في المواريثِ خاصةً في السّراجية على المذهب الحنفي والرّحبيةِ على المذهبِ الشافعي.

٢٢. **الشَّيْخُ المُعمَّرُ قاسم بن ابراهيم البحر الْيَمَانِيُّ** قرأتُ عليهِ متون اللغة كالآجرومية وقطر الندى والشافية والكافية والطرفة وأخذتُ عنهُ الألفية وكثير من الكتب في النّحو والصرف وقرأتُ موطأ مالك برواية القعني لغالبها والمسلسلات وأطراف الكتب التسعة، ومئات المجالِس العلمية قِراءةً وسماعاً بالقِراءةِ عليهِ للمنظوماتِ والمتونِ والسنن.

٢٣. **الشَّيْخُ** أبو حُذيفة ثامِر الأُصوليّ أخذتُ عنهُ دراسةً الفقه الشافعيّ والحَنفي وأصول الفقهِ والحديثِ.

٢٤. **الشَّيْخُ عَبْدُ الْعَزِيزِ الشَّهَاوِيُّ الْمِصْرِيُّ الشَّافِعِيُّ** مفتي الشافعية بمصر أخذتُ منهُ راسة المذهب الشافعي وسمعتُ عليه منظومات ومتون علمية كثيرة.

٢٥. **الشَّيْخُ المُعمَّرُ غلامُ الكاكري الرَحمَتي** (رَحِمَهُ اللهُ) (١٣٥٨-١٤٤٢)، عشراتُ المنظومات والمتون والمسانيد كالمنتقى والمعاجم كمعجم الطبراني وكتب السنن والأجزاء الحديثية.

٢٦. **الشَّيْخِ المُقرِئِ المُعَمّرِ مُحَمَّد سَعِيد الهَرَوِيّ الحُسينيّ الأَفْغَانِيّ** (١٣٦١-١٤٣٩) (شَيْخُ قُرّاءِ البَحْرَين) (رَحِمَهُ اللهُ). أخذتُ عنه الترمذي والعلل للترمذي ومنظومات ومتون علمية كثيرة كالموقظة في الحَديثِ والأربعين النووية والتحفة وغيرها روايةً.

٢٧. **الشَّيْخُ المُقرئ عبد الباسط هاشم.** (رَحِمَهُ اللهُ) (١٣٥٠-١٤٤٢). أَخذتُ منهُ منظومات الشاطبية والدّرة والجزرية وتحفة الأطفال والموطأ برواية الليثي ومتون علمية في القراءات وغيرها روايةً.

٢٨. **الشَّيْخُ المُعمَّرُ أحمد بن عبد الله الرقيمي الْيَمَانِيُّ (مفتي الشافعية بمكة)** (رَحِمَهُ اللهُ) (١٣٥٤-١٤٤١). أَطرافُ الكتُب التّسعةِ وبعضُ المتونِ، والإِجَازةُ العامّة منهُ.

٢٩. **الشَّيْخُ الْمُعَمَّر مُحَمَّدُ بْنُ قَاسِمٍ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الوشلي الْحَسَنِي** (رَحِمَهُ اللهُ) (١٣٦٠-١٤٤٢). الأربعين النووية والإِجَازةُ العامّة منهُ.

٣٠. **الشَّيْخُ اَلْمُعَمَّرُ المُحْدِث مُحَمَّدُ عاقِلِ بْنُ مُحَمَّدٍ أَيّوبَ المَظاهِري السَّهَارِنْفُورِيُّ الهِنْدِيُّ** وَلَدِ ١٣٥٩، أخذتُ منهُ بعض البخاري والسنابل، والإِجَازةُ العامّة منه.

٣١. **الشَّيْخُ المُعمَّرُ أحمدُ بنُ أبي بكرٍ الحبشي** ولد (١٣٥٧هـ) عشرات المنظومات والمجالس العلمية والمتون والمسلسلات والسنن وإسنادُهُ أعلى إسناد في العالمِ، والإِجَازةُ العامّة منهُ.

٣٢. **الشَّيْخُ المُعمَّرُ علي بن يحيى الهكلي الْيَمَانِيُّ** أَخذتُ منهُ صحيح البخاري ومتن سفينة النجاة.

٣٣. **الشَّيْخُ المُعمَّرُ ضَيْفُ اللهِ بنِ مشبب (ابْنُ الهمل) الأحمريُّ** أَخذتُ منهُ سماعاً بالقِراءةِ عليهِ صحيح البُخاريّ وصحيح مُسلم، ومِنْهاجُ الطَّالِبِينَ وَعُمْدَةُ المُفْتِينَ للنووي، والرحبية ومتون علمية، والإِجَازةُ العامّة منهُ.

٣٤. **الشَّيْخُ المُعمَّرُ عَبْد الوَكِيلِ بن عَبْدِ الحَقّ الهَاشِمِيّ.** ولد (١٣٥٧هـ)، أَخذتُ منهُ سماعاً بالقِراءةِ عليهِ صحيح البُخاريّ وصحيح مُسلم، والإِجَازةُ العامّة منهُ.

٣٥. **الشَّيْخُ المُعمَّرُ مُحَمَّد رَفِيع العُثْمَانِيّ رَئِيسُ جَامِعَة دَار العُلُوم بِكَرَاتشِي وَالمُفْتِي العَامَّ لِبَاكِسْتَّان** الشمائِل النبوية وبعضُ المجالس العلمية، والإِجَازةُ العامّة منهُ.

٣٦. **الشَّيْخُ المُحَدِث عَبْد الله بن عَبْد الرَحْمَنِ السعد** درستُ صحيح ابن خزيمة والمحرر لابن عبد الهادي وسنن الترمذي وبعض كتاب السنن والمسانيد روايةً ودرايةً مع دراسة الأسانيد.

٣٧. **الشَّيْخُ المُحدِّث مَاهِر يَاسِينُ الفحل** درست صحيح البخاري ومسلم وسنن الترمذي وتفسير ابن جزي وصحيح مسلم وسنن أبي داوود والمقدمة لابن الصلاح



تدريب الراوي والشمائل، ومئات المجالس العلمية في العلل والحديث مدارسة، روايةً ودرايةً، والإجَازةُ العامّة منهُ.

٣٨. **الشَّيْخُ المُعمَّرُ جَلَالُ الدِّينِ الجَمَالِيّ السنديُّ الدِّيوبَنديُّ** (رَحِمَهُ اللهُ) (١٣١٣-١٤٤٢). سماعاً بالقِراءةِ عليهِ لأطرافِ الكتب التسعة والشمائل النبوية بفوتٍ معلوم، والإجَازةُ العامّة منهُ.

٣٩. **الشَّيْخُ مُحَمَّد عَدْنَانَ بن الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ الغشيم الشَّافِعِيّ الْحَلَبِيّ** رَحِمَهُ الله (١٣٦٢- ١٤٤٠) أَخذتُ منهُ مِنْهاجُ الطَّالِبِينَ وَعُمْدَةُ الْمُفْتِينَ للنووي وبعض المتون روايةً، والإجَازةُ العامّة منهُ.

٤٠. **الْعَلَّامَة الشَّرِيف الْمُعْمِر مُحَمَّد الرَّابِع الندوي الْحَسَنِي رَئِيس نَدْوَة الْعُلَمَاء بلكنؤ، الْهِند**، الْمَوْلُودَ فِي ١٣٤٨، أخذتُ عنهُ نخبةِ الفِكر وثلاثيات البخاري وغيرها والإجَازةُ العامّة منهُ.

٤١. **الشيخ الدكتور الفَرضيّ مولود مخلص الراويّ** الرّحبية روايةً ودرايةً وأَجازنا بعلمِ الفرائضِ وبكتابهِ في المواريث.

٤٢. **الشَّيْخُ المُعمَّرُ عبد الله بن حمود التويجريّ** أَخذتُ منهُ سماعاً بالقِراءةِ عليهِ صحيح البُخاريّ وبعضُ المتونِ العلميةِ، والإجَازةُ العامّة منهُ.

٤٣. **الشَّيْخُ المُعمَّرُ علي بن مُحَمَّد النحاس** ولد (١٣٥١هـ) أَخذتُ منه صحيح البخاريّ ومنظومات القِراءات/ والإجَازةُ العامّة منه.

٤٤. **الشَّيْخِ المُعَمَّرِ ظهُور الحَق بن عَبَدِ الدَّيان الداماني الشاشيّ** رَحِمَهُ الله (١٣٤٢ - ١٤٤٢)، سماعاً بالقِراءةِ عليهِ لأطرافِ الكتب التسعة والشمائل النبوية بفوتٍ معلوم وغيرها، والإجَازةُ العامّة منهُ.

٤٥. **الشَّيْخُ المُعَمَّرُ الشّريفُ نايفُ بنُ هاشم بنِ محمد بنِ هاشم، الدِّعَيّس البَرَكَاتِي، عضو مجلس الشورى**، أخذتُ منهُ أوائل التّسعة والإجَازةُ العامّة منهُ.

٤٦. **الشَّيْخةُ المُقرئة المُعمَّرة تناظر بنت محمد النجولي**. (رَحِمَها اللهُ) (٣٤٢-١٤٤٢). أَخذتُ منها منظومات التلاوة/ والإجَازةُ العامّة منها.

٤٧. **الشَّيْخةُ المُقرئةُ المُعمَّرة سميعة مُحَمَّد بكر البناسي**. (رَحِمَها اللهُ) (١٣٤٨-١٤٤٢). أَخذتُ منها منظومات التلاوة/ والإجَازةُ العامّة منها.



٤٨. الشَّيْخُ المُقرئ المُعمَّر عبد الفتاح مدكور. (رَحِمَهُ اللهُ) (١٣٥٠-١٤٤٢). وهو من تلاميذِ المُقرِئِ الضّباع والمُقرِئِ عثمان سليمان مراد (١٣٨٢هـ) أخذتُ منه منظومات القِراءات/ والإجَازةُ العامّة منه.

٤٩. وقَد أجازني ما يقارب خمسمائة عالمٍ وشيخٍ ومُسنِدٍ منهُم الشَّيْخُ المُعمَّرُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَبْدِالحَيِّ الكَتَّانِيّ ولد (١٣٣٨هـ)، الشَّيْخُ المُعمَّرُ العَلَّامَةُ الأُصُولِيُّ مُحَمَّدٌ وَلَد سيِّديْ وَلَد الحَبِيب الجكنيّ الشَّنْقِيطِيّ (رحمه الله) (١٣٥٣-١٤٣٨)، الشَّيْخُ المُعمَّرُ عبدِ الرَّحْمَنِ بن مُحَمَّد إسْحَاق الوسْوَاس الهِنْدِيّ رَحِمَهُ اللهُ (١٣٣٠-١٤٤٠هـ)، الشَّيْخُ المُعمَّرُ حَسَنُ بْنُ حُسَيْنِ بَاسِنْدُوهُ الْيَمَانِيُّ (رحمه الله) (١٣٥٠-١٤٣٨هـ)، الشَّيْخُ اَلْمُعَمَّرُ إِقْبالُ أَحْمَدَ اَلْنُدويّ (رَحِمَهُ اللهُ) (ت:١٤٤٢)، الشَّيْخُ المُعمَّرُ عَلي بن حُسَيْن بن عَبْدِ اللهِ عيديد اليَمَنِيُّ. رَحِمَهُ الله (١٣٥٢-١٤٤٢)، الشَّيْخُ المُعمَّرُ العلّامةِ مُحمَّد فوزي فيضِ اللهِ الحلبيِّ الأزهريِّ الحنفيِّ (١٣٣٨-١٤٣٩) (رَحِمَهُ اللهُ)، الشَّيْخُ المُعمَّرُ حَمْد اللهِ جَان الداجويُّ المظاهريُّ (رَحِمَهُ اللهُ) (١٣٣٤-١٤٤٠)، الشَّيْخُ المُعمَّرُ مظفر شاه فيروز الحيدر آبادي السنديُّ. (رَحِمَهُ اللهُ)(ت:١٤٣٩). الشَّيْخُ عَبْد السَلَامِ بن أَبِي أَسْلَمَ السَّلَفِيِّ الهِنْدِيُّ.(رَحِمَهُ اللهُ)(ت:١٤٣٩). الشَّيْخُ المُفَسِر مُحمَّد علي الصَّابُونيّ (رَحِمَهُ اللهُ) (١٣٤٨-١٤٤٢)،الشَّيْخ المعمَّر الْقَاضِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْعِمْرَانِيّ الصَّنْعَانِيّ (رحمه الله) (١٣٤٠-١٣٤٢). القاضي مُحَمَّدِ بْن مُحَمَّدِ بْن يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحمدَ بْن يوسُف الْكِبْسِيّ الرَّوْضِيّ الصَّنْعَانِيّ، الشَّيْخُ الْمُسْنِدُ الْمُبَارَكُ مُحَمَّدُ أَمينُ سِرَاجِ مُسْنِد تُركيا (رَحِمَهُ اللهُ) (١٣٤٨-١٤٤٢)، الشَّيْخُ سَمِيعِ الحَقِ بْنِ عَبدِ الحَقّ الحَقَّانِيّ الباكِسْتَانيّ مدير الجامعة الحقانية بباكستان (رَحِمَهُ اللهُ) (١٣٥٥ - ١٤٤٠ هـ)، الشَّيْخُ المُعَمَّرُ عيَاض بوعبدلي (رحمه الله) (١٣٤٠-١٤٤٣)، الشَّيْخُ المُعمَّرُ عَبْدُ الرَحْمَن بنِ عبيدِ اللهِ المباركفوريّ، الشَّيْخُ المُعمَّرُ مُعْتَمَد بِاللهِ جَان بن عَبْد الجَلِيل بن خَلِيلِ اللهِ المارتونجي البَاكِسْتَانيُّ ، الشَّيْخُ المُعمَّرُ مُحمَّد فُؤَاد بنُ سَلِيمِ بنِ مُحَمَّد الزَّبَدَانِي الدِمَشْقِيُّ، وغيرهُم من مئاتِ العلماءِ والمشايخ قَد ذكرتُهم بثَبَتِي.

❖ درستُ وقرأتُ وسمعتُ الكتب التسعة والمنظومات والمتون والأجزاء الحديثية على مئات العُلماء والمشايخ ذكرتُهُم في أثباتي منها إجازة دراية ومنها سماعا

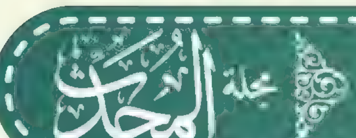
ومنها رواية ومنها قراءة.

- لديّ مئاتُ الدّروس والمحاضرات في الحديثِ والفقهِ والفرائضِ والنحوِ والأصولِ منها شرح الصحاح والسنن وهيَ موجودة في المواقعِ العلميّ.
- لديّ آلاف المجالس العلمية والمدارسة والسماع والقراءة على العلماءِ والمشايخ ذكرتُها بثَبَتِنا.
- دَرَّستُ الأصول والفقه المقارن والفقه على المذاهب الأَربعة.
- أَروي الأَحاديث المُسلسلة على مئاتِ العلماء والمشايخ وبأعلى الأسانيد ذكرتُها بثَبَتِنا.
- مسؤول ومدرس لعشراتِ المواقعِ العلميةِ والمدارس والمعاهد والأكاديميات.
- مسؤول موقع فتاوى إسلامية.
- مدير المدرسة الحيالية في العلوم الشرعية.
- عضو في هيئة تعلّم العلمية، ومسؤول قسم الفتاوى الخاص بالمواريثِ.
- مدرس في معهد الشافعي الشرعية، ومعهد دقيق العيد العلمية.
- مدرس في معهد العروة الوثقى.
- مُقرئ في أكاديمية القرآن وغيرها ولديّ عشرات الطلاب في قراءة ختمات الإجازة.
- مسؤول قسم الرواية في مدرسة الحديث العراقية.
- عضو في الرابطة العالمية لعلماء الحديث.
- عضو في رابطة الفرضيين العرب.

بَعضُ المُصنفاتِ والمؤلفاتِ

١. السَّامسُونيَّةُ فِي شَرحِ البيقُونية.
٢. وَصايَا لِطالبِ العِلمِ.
٣. الدُّررُ النَّبويةُ فِي الأربَعينِ الفَرَضية.
٤. شُرُوطُ الحِجَابِ الشَّرعيِّ.
٥. تَحقيقُ أُصولِ السُّنّةِ للحُميديِّ.





٦. توبةُ شابٍ عاصٍ.

٧. لماذا نَدعو غَيرَ الله

٨. الأَحاديثِ القِصار للنبيّ المُختارِ.

٩. سلسلةُ الفقهاءِ السَبعة.

١٠. الشَذْرَاتُ في شَرحِ الوَرَقَاتِ في أصول الفقه.

١١. تحقيقُ منظومةُ اللآلئ في الفرائِضِ لتاجِ الدّينِ الجعبري.

١٢. الأربعين في شروطِ السّاعةِ بقولهِ ﷺ لا تقومُ السّاعةُ حتى.

١٣. السبائِك الذَهبية في شرحِ المنظومةِ الجّعبريةِ.

١٤. أَحكامُ صلاةِ العيدِ.

١٥. أَحكامُ زكاة الفطر.

١٦. تحقيقُ مُسلسلات ابن عقيلة.

١٧. الجواهرُ الذَهبيةُ في شرحِ الدُررِ النَّبوية.

وغيرها من الرسائِل العلمية والمصنفات المخطوطة والمطبوعة.

ولا زلتُ في طلب العلم الشرعي أتعلم في سبيل الفوز بالجنة والنجاة من النار، من المحبرة إلى المقبرة.

خادِمُ الكتابِ والسُنةِ

أبو عبدِ اللهِ ليثٌ الحَسنيّ الحياليِّ



الإمام يحيى بن معين .. رائد علم الجرح والتعديل

عبد العزيز بدر القطان
كاتب ومفكر الكويت.

رسم لنا علماء الحديث وبخاصة علماء الجرح والتعديل، طريق التثبت في قبول الروايات على أتم وجه وأكمل صورة، بالنظر إلى أن علم الجرح والتعديل من أهم علوم الحديث، وفي الحديث عن إمام هذا العلم، يبين لنا المجهود الكبير المبذول في الوصول إلى حقيقة الأمر فيما كان عليه رواة الحديث بخصوص توافر شروط الرواية فيهم من عدمها، وعلماء الجرح والتعديل اتسموا بالعدل والإنصاف مع من وافقهم، ومع من خالفهم ، فلم يدعوا مجالاً للأهواء وحظوظ النفس أن يكون حاضراً في أحكامهم على رواة الحديث.

ويعد محور مقالنا الإمام يحيى بن معين من مؤسسي هذا العلم الجليل، لامتيازاته الكبيرة عن باقي علماء الحديث في تفرعاته من علوم وفنون أصيلة إن كان فقهاً أو مصطلحاً وغير ذلك.

وقبل الخوض في غمار شخصيتنا، لا بد من بعض التوضيحات التي تتعلق بهذا العلم الجليل، الذي يؤكد مرة جديدة، أن الدين الإسلامي، هو الدين الذي شمل مفاصل الحياة كلها، بما فيها الأمانة العلمية في النقل، عن القدماء بضوابط شرعية تحولت إلى أدوات أكاديمية تفنّن بها كل مختص قديماً وحديثاً، ومما لا شك فيه أن جرح الرواة وتعديلهم يخضع لميزان دقيق لم يوجد له نظير، خاصة لجهة وضع



الضوابط الدقيقة في قبول الجرح والتعديل الصادرين في حق رواة الحديث، إن كان في مسألة الصفات المعتبرة في الجارح أو المعدّل، وفي الصفات المعتبرة في الجرح والتعديل، وأيضاً الضوابط التي تتعلق بمنهجية الترجيح بين الجرح والتعديل عند التعارض، بالتالي هذه العملية لا يقوم بها إلا الجهابذة من العلماء وممن اتصفوا بالإيمان العميق والتجرد التام عن الهوى وحظوظ النفس، يقول الإمام النووي في هذا الصدد: (**ثم على الجارح تقوى الله تعالى في ذلك، والتثبت فيه والحذر من التساهل بجرح سليم من الجرح أو نقص من لم يظهر نقصه، فإن مفسدة الجرح عظيمة، فإنها غيبة مؤبدة مبطلة لأحاديثه مسقطة لسنة عن النبي ﷺ، ورادّة لحكم من أحكام الدين**)[(١)]، بالتالي، للجرح والتعديل رتبة رفيعة لا ينالها إلا كل من اتصف بالعدالة، فأول لبناتها أن يكون عدلاً ومن بعد ذلك تأتي بقية الشروط، وممن تنطبق عليهم تلك الشروط، محور موضوعنا اليوم، الإمام الحافظ الجهبذ، شيخ المحدثين، أبو زكريا يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام، (١٥٨ هـ)، ولد بقرية قرب الأنبار العراقية، وكان والده من نبلاء الكتّاب، فكان كاتباً لعبد الله بن مالك، ثمّ ولي على خراج الري، نشأ ابن معين ببغداد، وكان في فترته علماء كبار منهم علي بن المديني، وأحمد بن حنبل، وإسحق بن راهويه، وأبو بكر بن أبي شيبة، وغيرهم.

ويُعد من أبرز علماء الإسلام الذين خاضوا هذا المضمار، من خلال تصديه لنقد الرجال وبيان أحوالهم، وجمعه من العلماء الأفذاذ، والنقاد الملهمين، فلقد كان رحمه الله من أبرز أئمة علم الرجال جرحاً وتعديلاً واهتماماً بالإسناد واعتناءً به، فقد بلغ ابن معين بالمعرفة برجال الأثر مبلغاً كبيراً لا مثيل لأحد له فيه، وهذا ليس بكثير على رجل جال البلاد لأجل هذه الغاية بحثاً عن الحديث وفحصاً لرجاله، إذ كان اهتمامه بالحديث متوناً ورجالاً، كتابةً وحفظاً، حلًّا وترحالاً، ولعل من أهم أسباب نبوغه،

(١) شرح صحيح مسلم للنووي (١/١٢٤).





العلمي قوة حافظته، فقد كان أعجوبة في الحفظ، مما جعله مقدماً عند أهل زمانه، وهذا الحفظ القوي الذي تميز به ابن معين وعرف به، إنما اكتسبه من شيوخه، الذين أخذ منهم وتأثر بهم، ومن شدة حفظه للحديث وضبطه للروايات، كان ابن معين إذا حدث بحديث مغلوط، شدد العبارة على الراوي المخطئ، وذلك من غيرته على السنة النبوية أن يدخل فيها ما ليس منها، ومن أسباب ذلك أيضا كثرة المذاكرة للحديث، يدل عليه شهادة من ذاكره بمعرفته حديثه معرفة تامة يستدل بها على موضع مروياته متى شاء، قال علي بن المديني: كنت إذا قدمت إلى بغداد منذ أربعين سنة كان الذي يذاكرني أحمد بن حنبل، فربما اختلفنا في الشيء فنسأل أبا زكريا يحيى بن معين فيقوم فيخرجه ما كان أعرفه بموضع حديثه.

عكف الإمام يحيى بن معين على تدوين الحديث، وكان والده، قد ترك له ثروة هائلة أنفقها كلها في طلب الحديث، ومن المعروف عنه أنه كان حسن السيرة، عابداً زاهداً، محتاطاً جداً في الحكم على الرجال، كان ابن معين رحمه الله من أئمة الجرح والتعديل، وكان من عناية هؤلاء الأئمّة أن يجمعوا حصيلة بحثهم ودراستهم عن الرجال فيفردون للثقات كتباً كما يفردون للضعفاء كتباً أخرى، ولم تكن هذه الكتب تعني مجرد جمع الأخبار وتصنيفها، إنّما هي أحكام في غاية الدّقة والتمحيص الشديد والتحري الزائد، إذ كانوا يراقبون الله في كل لفظة أو إشارة مخالفة أن يجرحوا عدلاً أو يوثقوا مجروحاً، فإذا كان حال الراوي يتضح بوصف اكتفوا به ولم يضيفوا إليه آخر، وهذا هو الذي أدى إلى هذا الاختصار الشديد في تراجم الرجال بين الطبقة المتقدمة خاصة.

إذاً، ابن معين كان متخصصاً في حفظ الأسانيد ومعرفة الرجال، لا يكاد يقدم عليه أحد في ذلك، قال عمرو الناقد: (ما كان في أصحابنا أحفظ للأبواب من أحمد بن حنبل ولا سرد للحديث من ابن الشاذكوني ولا أعلم بالإسناد من يحيى ما قدر



أحد يقلب عليه إسناداً قط)، فقد كان إمام المحدثين متعطشاً لنيل علم الحديث والاستزادة منه، فمع قوة الحافظة التي يملكها، كان كثير الكتابة حتى أصبح مضرب المثل في كثرة الكتابة، فقد كان يكتب كل شيء، فربما كتب الحديث الواحد أكثر من خمسين مرة، وهذا ساعده كثيراً على حفظ العلم، فهو يكتب جل علومه التي أخذها عن شيوخه ويكثر من تكرار كتابتها، حتى إذا نسي شيئاً منها أو شك رجع إلى كتبه متى شاء، فكانت علومه مكتوبة عنده ومحفوظة، وكان يحرص على كتابة كل حديث لا يعرفه، حتى يعرف صواب الراوي فيه من غلطه، قال يحيى بن معين: (صاحب الانتخاب يندم، وصاحب النسخ لا يندم)، وكثرة الكتابة أنتجت عنده يحيى ملكة وخبرة بأحاديث البلدان، ولذلك كان يصف بعضها بوصف دقيق، كوصفه كثرة انتشار الكذب في الحديث ببغداد، بقوله: (ما رأيت الكذب أنفق منه ببغداد)، وعلق الخطيب البغدادي على ما قاله ابن معين: (إنما قال يحيى هذا القول تنبيهاً على أن البغداديين أرغب الناس في طلب الحديث وأشدهم حرصاً عليه وأكثرهم كتباً له، وليس يعيب طالب الحديث أن يكتب عن الضعفاء والمطعون فيهم، فإن الحفاظ ما زالوا يكتبون الروايات الضعيفة والأحاديث المقلوبة والأسانيد المركبة لينقروا عن واضعيها ويبينوا حال من أخطا فيها..).

ومما يوضح لنا كثرة كتابة الحديث عند يحيى ما ذكره أحمد بن عقبة وغيره حيث قال: سألت يحيى بن معين كم كتبت من الحديث يا أبا زكريا؟ قال: كتبت بيدي هذه ستمائة ألف حديث. قال أحمد: وإني أظن أن المحدثين قد كتبوا له بأيديهم ستمائة ألف، لكن ومع الكم الهائل الذي كتبه ابن معين من الأحاديث إلا أنه لم يحدث إلا بالقليل، ومن أسباب نبوغه في الحديث، كثرة شيوخه في أخذه للحديث، فلا تقر عينه إلا بسماع الحديث من عدة شيوخ ولو كثروا، وهذا الأمر جعله مقدماً على غيره، في بيان الخطأ من الصواب في الحديث، بل وتحديد مكان الخطأ هل هو من



شيخ ابن معين أو من شيخ شيخه، الأمر الذي جعل من هذه المنهجية مدرسة يتعرف بها المحدثون على أخطاء الشيوخ، وكثرة أخذه عن الشيوخ أفادته كثيراً في التمييز بين الرواة، ومعرفة المقدم منهم عند الاختلاف على الشيخ، وهذا أمر معلوم وظاهر في سيرة ابن معين، فقد كان صابراً في أخذه للحديث وصابراً أكثر على كتابته فكانت له الإمامة في ذلك والتميز والنبوغ.

إن ابن معين كان يملك من الحديث الكثير، وكان واسع العلم والاطلاع فيه، فقد كان مرجعاً في معرفة الأحاديث والرجال، حتى شهد له العلماء بأن الحديث الذي لا يعرفه يحيى فليس بحديث، وهذا النبوغ العلمي إنما جاء بعد سنين طويلة في حفظ الحديث وكتابته، والصبر على الشيوخ في الأخذ منهم، مع كثرة الإنفاق على العلم في الرحلات وغير ذلك، الأمر الذي كون عند ابن معين ملكة علمية قوية في نقد الأحاديث والرجال، وهذا العلم الواسع الذي وهبه الله لابن معين في الحديث، كان من أهم أسباب تحصيله أنه كان يفيد به أهله، فبارك الله له في ذلك العلم، قال جعفر بن عثمان الطيالسي: سمعت يحيى بن معين يقول: أول بركة الحديث إفادته، كل هذه العوامل تعود إلى شخصية إمام المحدثين الفذة فلا يقبل الضعف ولا الهوان، بل كان قوياً في تعامله مع من حوله، ولذلك كانت له مهابة عند شيوخه وطلابه، وكان لا يعجبه شخصية المحدث الضعيفة، بل كان يذم ذلك وينصح بالقوة في التحمل والأداء، وفي هذا الصدد قال: (ويل للمحدث إذا استضعفه أصحاب الحديث قلت: يعملون به ماذا؟ قال: إن كان كودنا سرقوا كتبه، و أفسدوا حديثه وحبسوه وهو حاقن حتى يأخذه الحصر فيقتلوه شر قتلة، وان كان ذكرا استضعفهم وكانوا بين أمره ونهيه، قلت: وكيف يكون ذكرا؟ قال: يعرف ما يخرج من رأسه).

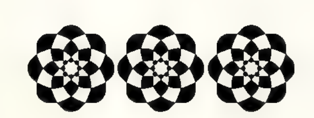
لقد بنى الإمام ابن معين علمه لبنة لبنة، وتكونت عنده المعرفة العلمية المنهجية الدقيقة، التامة بأحوال الرواة حتى أصبح إماماً في الجرح والتعديل ومن كبار



الحفاظ، وقد شهد العلماء له بالتقدم والإمامة في الحديث وعلومه، قال علي بن المديني: انتهى العلم بالبصرة إلى يحيى بن أبي كثير وقتادة، وعلم الكوفة إلى أبي إسحاق والأعمش، وانتهى علم الحجاز إلى ابن أبي شهاب وعمرو بن دينار، فالتثبت أحد أهم أسباب نبوغ منهج ابن معين في نقد الحديث، فقد كان كثيراً ما يتثبت من أحاديثه، حيث أنه كان يخشى الخطأ في مروياته التي أخذها، فكان يسهر الليل في حفظه وتثبيته، حتى يطمئن أنه حفظه، واللافت فيه، أنه ما كان يأخذ حديثاً عن شيخ لا يحفظ الحديث، وهذا أمر طبيعي فقد كان منهجه في الجرح - مع تشدده- لا يخضع لهوى، ولا يقصد به الشهرة أو التحامل، بل كان يحب الستر والنصح قبل كل شيء، متجرداً عن أي أمر دنيوي يحمله على الجرح والطعن في الرواة، لذلك كانت لأحكامه منزلة واعتبار مهم عند العلماء.

لقد كان ثناء الأئمة على ابن معين كثيراً، قال النسائي: أبو زكريا يحيى بن معين الثقة المأمون أحد الأئمة في الحديث، وقال الخطيب: وكان إماماً ربانياً عالماً حافظاً ثبتاً متقناً، وهذا أمر طبيعي أن يحظى بشهادات كبيرة من علماء كبار، وهو الذي قضى حياته مرتحلاً طلباً للحديث، فقد ارتحل إلى الحجاز واليمن، ثم رجع إلى البصرة والكوفة والشام ومصر.

على الرغم من شدة ابن معين في العلم الناتجة عن حرصه على نقل السنة إلا أنه كان رقيق الطباع يتأثر عند وعظه وتعمقه في كلام الله تبارك وتعالى، ولعل وفاته في المدينة المنورة خير دليل على قوة إيمانه، حيث دفن في البقيع (٢٣٣ هـ)، إلى جانب الأتقياء والأنقياء.



أساليب النبي ﷺ في معالجة الغلو في المدح

أ.د. قاسم محمد الخزرجي
أستاذ الحديث وعلومه في كلية العلوم الإسلامية
الجامعة العراقية

الحمد لله نحمده ونشكره ونستعينه ونستغفره، والصلاة والسلام على أشرف خلقه نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

تعاني كثير من المجتمعات في الوقت الحاضر من أمراض مجتمعية تُشْعِر بمقدار الخطر الذي يتهددها، ولذلك بلا شك أسباب متعددة قد يقف الجهل والتجهيل على رأسها، ومنها كذلك ضعف الشخصية، وفقدان المبادئ، واختراق المجتمعات من الأعداء، وغير ذلك، مما يجعل المجتمع مفككًا ضعيفًا تابعًا سهل التحكم به ممن له مصلحة بالتدخل فيه.

ومن جملة الأمراض المجتمعية المعبرة عن حالة الضعف وأسبابها التي ذكرتها آنفا شيوع التمادح بين الناس، والمدح بغير حق، والمدح بما ليس في الممدوح، ومنه ما يصل إلى حد الغلو في المدح الديني المقصود منه إبراز أشخاص لهم مكانتهم وشأنهم، والمبالغة في تعظيمهم.

وسأذكر هنا الأساليب التي صدرت عن النبي ﷺ في علاج الغلو في المدح فيمت يأتي:

الأسلوب الأول

الأمر المباشر للمادح بترك الغلو بالمدح والعدول إلى ما ليس فيه ذلك

قال الإمام البخاري:

حدثنا مسدد، حدثنا بشر بن المفضل، حدثنا خالد بن ذكوان، قال: قالت الربيع بنت معوذ ابن عفراء، جاء النبي ﷺ فدخل حين بني علي، فجلس على فراشي كمجلسك مني، فجعلت جويريات لنا، يضربن بالدف ويندبن من قتل من آبائي يوم بدر، إذ قالت إحداهن: وفينا نبي يعلم ما في غد، فقال: «دعي هذه، وقولي بالذي كنت تقولين»[(١)].

تعد مجاوزة الحد في المدح صورة من صور الغلو يترتب عليها مفاسد منها ما هي مفسدة فردية ومنها ما هي جماعية ذلك كون أن الممدوح المتسنم مسؤولية ما تبدأ النفوس المحبة له أو الضعيفة بالتقرب منه إما محبة أو لأجل تحصيل مكاسب آنية فيكثر مدحه ربما بما ليس فيه، مما يجعل الشخص الممدوح إن لم يكن عالما بقدر نفسه يظن في نفسه غير ما هي عليه في الواقع.

وقد بين الحديث أن المجاوزة في المدح لا تجوز، فالنبي ﷺ استمع إلى الجويريات وهن يندبن آباء الربيّع وهم أبوها معوذ وعمّاها معاذ وعوف، وكيف أنهما قامتا بذكر أوصافهم، والثناء عليهم، وتعديد محاسنهم من الكرم والشجاعة ونحوها، وكل ذلك

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب النكاح، باب ضرب الدف في النكاح والوليمة: ١١٩٠/٣ رقم ٥١٤٧، قال: حدثنا مسدد حدثنا بشر بن المفضل، وأبو داود: كتاب الأدب، باب في النهي عن الغناء: ٢٨١/٤ رقم ٤٩٢٢، قال: حدثنا مسدد حدثنا بشر، والترمذي: كتاب النكاح، باب ما جاء في إعلان النكاح: ٣٨٥/٢ رقم ١٠٩٠،قال: حدثنا حميد بن مسعدة البصري ، قال: حدثنا بشر بن المفضل، وابن ماجه: كتاب النكاح، باب الغناء والدف: ٣٣٩/٣ رقم ١٨٩٧، قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال: حدثنا يزيد بن هارون، قال: حدثنا حماد بن سلمة، وأحمد: حديث الرُبَيّع بنت معوذ بن عفراء رضي الله عنها: ٥٧٤/٤٤ رقم ٢٧٠٢٧، قال: حدثنا عفان، قال حدثنا حماد بن سلمة. مسدد وحميد بن مسعدة كلاهما عن بشر بن المفضل، ويزيد بن هارون وعفان كلاهما عن حماد بن سلمة. وكلاهما حماد بن سلمة، وبشر بن المفضل عن خالد بن ذكوان أبي الحسين، به.



والنبي ﷺ ساكت لا يتكلم، حتى إذا ما وصلت إلى قولها (وفينا نبي يعلم ما في الغد) بادرها النبي ﷺ بالكلام أن اتركي هذا القول[١].

فأشار إلى علة المنع وهي الغلو في الإطراء، وفي الحديث إشارة إلى جواز سماع المدائح والمراثي ما لم تفض إلى الغلو[٢].

وإنما كره النبي ﷺ ما قالته لكراهيته نسبة علم الغيب إليه، لأنه لا يعلم الغيب إلا الله، وإنما يعلم الرسول من الغيب ما أخبره به الله سبحانه، وهو صفة تختص بالله تعالى كما قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلا اللَّهُ﴾[٣]، وقوله لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾[٤]، وقيل إنما كره قولها لأنه ذكر في أثناء ضرب الدف وأثناء مرثية القتلى لعلو منصبه عن ذلك[٥].

قلت: لكن سياق النهي وزمنه يشير إلى أن السبب في المنع هو مجاوزة الحد في المدح فلو كان ضرب الدف من الجويريات ورثاؤهن القتلى هما سبب المنع لكان المنع لازما من أول سماعه لهن ﷺ لكن الروايات صريحة بعكس ذلك وأنه استمع لهن حتى قلن ما قلنه فتوجب البيان، لكن يمكن أن يفهم من الحديث بمفهوم المخالفة جواز مدح الرجل في وجهه ما لم يخرج المدح إلى ما ليس فيه.

ومما يدخل في هذا الأسلوب العدول بالمدح مما ليس في الممدوح إلى ما هو عليه حقا، ومن ذلك ما روى الإمام أحمد في مسنده قال: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس، أن رجلا، قال: يا محمد، يا خيرنا وابن خيرنا، وياسيدنا

---

(١) ينظر: فتح الباري: ٩/٢٠٣، وعون المعبود: ١٣/١٨٠.

(٢) ينظر: فتح الباري: ٩/٢٠٣، وتحفة الأحوذي: ٤/١٧٩.

(٣) سورة النمل: من الآية ٦٥.

(٤) سورة الأعراف: الآية ١٨٨.

(٥) تحفة الأحوذي: ٤/١٧٩.

وابن سيدنا، فقال ﷺ: قولوا بقولكم ولا يستجركم الشيطان -أو الشياطين، إحدى الكلمتين- أنا محمد عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله(١).

وعن عمر رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ، فإنما أنا عبد الله ورسوله(٢)، وفي حديث آخر أنه جاءه رجل فقال : أنت سيد قريش . فقال : السيد الله(٣).

قال ابن الأثير: أي هو الذي يحق له السيادة، كأنه كره أن يحمد في وجهه وأحب التواضع، ومنه الحديث لما قالوا: أنت سيدنا، قال: قولوا بقولكم أي: ادعوني نبيا ورسولا كما سماني الله، ولا تسموني سيدا كما تسمون رؤساءكم، فإني لست كأحدهم ممن يسودكم في أسباب الدنيا(٤).

المعاني المتحققة من الأسلوب الأول:

١. أن المجاوزة في المدح لا تجوز لأن في ذلك إطراء منهياً عنه(٥).

٢. على من وقع في حقه مجاوزة في المدح بما ليس فيه المبادرة إلى التنبيه والنهي عن ذلك.

٣. عظمة الإنسان لا ترفعه عن حد البشرية من حيث المطلق، ولا تدخله في حد اتصافه بمواصفات لا تكون إلا للإله.

---

(١) مسند أحمد: ٢١٦/٢١ رقم (١٣٥٩٦)، قال الشيخ شعيب: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء - باب قول الله ﴿واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها﴾ [مريم: ١٦] : ١٦٧/٤ رقم ٣٤٤٥، ومسند أحمد: ٢٩٥/١ رقم ١٥٤.

(٣) مسند أحمد: ٢٣٥/٢٦ رقم ١٦٣٠٧.

(٤) النهاية في غريب الحديث: ٤١٧/٢.

(٥) ينظر: فتح الباري: ٢٠٣/٩.



٤. كبار النفوس هم من عرفوا قدر شأنهم ومكانتهم ولا ينخدعوا بما يقوله الغير مما ليس فيهم فتراهم يبادرون إلى البيان ولا يخشون أن يقل شأنهم عند الناس.

الأسلوب الثاني

تبيين خطورة الغلو في المدح و أثره السيء على الشخص الممدوح

قال الإمام البخاري:

حدثنا محمد بن صباح، حدثنا إسماعيل بن زكرياء، حدثنا بريد بن عبد الله بن أبي بردة، عن أبي بردة بن أبي موسى، عن أبي موسى، قال: سمع النبي ﷺ رجلا يثني على رجل ويطريه في المدحة فقال: أهلكتم، أو: قطعتم ظهر الرجل[1].

إن ذكر ما يستحقه الإنسان بما يحمله من صفات حسنة هو أمر حسن ومطلب شرعي فيه مصالح متحققة فردية خاصة ومجتمعية عامة لما يحصل من التشجيع والتأسي والتأثر الإيجابي وإعطاء صاحب الحق حقه لكن ذلك مقيد بقيام الحاجة لذلك وعدم الغلو فيه بتحوله من مطلب شرعي إلى ما يضاده ويعاكسه، فسياق الحديث مشعر بوجود عملية تحول من عملية الثناء وهي جائزة إلى الإطراء وهو المبالغة في المدح.

قال ابن بطال: النهي عن أن يفرط في مدح الرجل بما ليس فيه؛ فيدخله من ذلك الإعجاب، ويظن أنه في الحقيقة بتلك المنزلة؛ ولذلك قال: قطعتم ظهر الرجل

---

(١) الحديث متفق عليه، أخرجه البخاري: كتاب الأدب - باب ما يكره من التمادح: ١٨/٨ رقم ٦٠٦٠، ومسلم: كتاب الزهد والرقائق - باب النهي عن المدح، إذا كان فيه إفراط وخيف منه فتنة على الممدوح: ٢٢٩٧/٤ رقم ٣٠٠١، وأحمد: ٤٦٦/٣٢ رقم ١٩٦٩١ . كلهم عن أبي جعفر محمد بن الصباح، قال: حدثنا إسماعيل بن زكرياء، عن بريد بن عبد الله بن أبي بردة، عن أبي بردة، به.




حين وصفتموه بما ليس فيه. فربما حمله ذلك على العجب والكبر، وعلى تضييع العمل وترك الازدياد من الفضل، واقتصر على حاله من حصل موصوفا بما وصف به[١].

المعاني المتحققة من الأسلوب الثاني:

١. قد يتطور المدح من مجرد الثناء إلى الإطراء وهو المبالغة في المدح[٢].

٢. ترتيب الأذى الكبير على الممدوح بسبب فعل المادح قد يصدم المادح وينبهه على مدى خطورة هذا الفعل مما يجعله ينثني عنه.

٣. أن المدح والإطراء لهما نتائج سلبية غالبة التحقق عند الممدوح مما ينبغي معه الترك لأجل غلبة الظن في الفساد.

الأسلوب الثالث

التحذير من التمادح

قال الإمام أبو بكر ابن أبي شيبة:

حدثنا غندر عن شعبة عن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن معبد الجهني عن معاوية قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: إياكم والتمادح فإنه الذبح[٣].

الحديث صريح في التحذير من التمادح لما يؤول إليه غالباً من حدوث نتائج نفسية سلبية شبهها النبي ﷺ بالذبح فيكون المادح كأنه ذبح عمل الممدوح وقطعه عن

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال: ٩/٢٥٣-٢٥٤.

(٢) قال المناوي: الإطراء: المبالغة في المدح ومجاوزة الحد فيه أو مدح الإنسان بأحسن ما فيه. التوقيف على مهمات التعاريف: ٥٤.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه: ٥/٢٩٧ رقم ٢٦٢٦١، قال: حدثنا غندر، ومن طريق ابن أبي شيبة رواه ابن ماجه في سننه: كتاب الأدب – باب المدح: ٢/١٢٣٢ رقم ٣٧٤٣، ورواه أحمد في مسنده قال: حدثنا عثمان، كلاهما غندر وعثمان، عن شعبة، به. قال البوصيري: هذا إسناد حسن معبد مختلف فيه وباقي رجال الإسناد ثقات... وأصله في الصحيحين. مصباح الزجاجة: ٤/١١٩. وقول البوصيري: أصله في الصحيحين يريد به الحديث المتقدم (قطعتم ظهر الرجل...) فالتحذير من المدح متضمن فيه، والله أعلم.

أسباب استمراره عليه أو ذهاب بركته وورعه به وتحقق تقواه لأجل حدوث إعجاب الممدوح بنفسه وبعمله ودخول الغرور واتساع النفس بهذه الشهوة المعنوية وقد يصل به إلى حد الكبر شيئا فشيئا وهنا يتأكد أن يُنظر إلى الكم الكبير والمقدار العظيم من وجوب معرفة المرء بنفسه وتأديبه لها وتحديثه إياها بقدرها الحقيقي كي لا تنساق وراء الظنون والأوهام.

قال السندي: قوله: فإنه الذبح لأنه قد يغتر به صاحبه[(١)].

المعاني المتحققة من الأسلوب الثالث:

١. أن التمادح مذموم لأجل تنصيص التحذير منه.

٢. نتائج التمادح كأنها يقينية في حدوث الأثر السيء مما يلزم معه الاجتناب.

٣. أن التمادح يقطع أوداج العمل والصفات المحمودة وهو قطع معنوي كما يقطع السكين أوداج الحيوان قطعا ماديا.

الأسلوب الرابع

إرشاده ﷺ إلى حثو التراب في وجوه المداحين

قال الإمام مسلم:

حدثنا محمد بن المثنى، ومحمد بن بشار - واللفظ لابن المثنى - قالا: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن منصور، عن إبراهيم، عن همام بن الحارث، أن رجلا جعل يمدح عثمان، فعمد المقداد فجثا على ركبتيه، وكان رجلا ضخما، فجعل

(١) حاشية السندي على سنن ابن ماجه: ٤٠٧/٢.



يحثو في وجهه الحصباء، فقال له عثمان: ما شأنك؟ فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «إذا رأيتم المداحين، فاحثوا في وجوههم التراب»(١).

صرح الحديث ببيان أسلوب من أساليب معالجة الغلو في المدح وهو حثو التراب في وجوه المداحين.

قلت: قد اختلفت أفهام الناظرين لهذا الحديث بين أمرين:

الأول: حمل اللفظ على ظاهره والقيام بحثو التراب بالفعل في وجوه المداحين.

وممن حمل هذا الحديث على ظاهره المقداد الذي هو راويه ووافقه طائفة وكانوا يحثون التراب في وجه المادح حقيقة(٢).

وممن فعله كذلك من الصحابة رضي الله عنهم ابن عمر رضي الله عنهما، فعن عطاء بن أبي رباح قال: كان رجل يمدح ابن عمر قال: فجعل ابن عمر يقول هكذا يحثو في وجهه التراب، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب(٣).

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الزهد والرقائق - باب النهي عن المدح، إذا كان فيه إفراط وخيف منه فتنة على الممدوح: ٤/ ٢٢٩٧ رقم ٣٠٠٢، قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ومحمد بن المثنى، والترمذي: رقم ٢٣٩٣، قال: حدثنا محمد بن بشار، وابن ماجه: رقم٣٧٤٢، قال: حدثنا أبو بكر، وأحمد: ٦/٥ رقم ٢٤٣٢٩. قال: حدثنا علي بن عبد الله، كلهم عن عبد الرحمان بن مهدي، قال: حدثنا سفيان بن سعيد، عن حبيب بن أبي ثابت، عن مجاهد، عن أبي معمر، به.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم: ١٢٨/١٨.

(٣) مسند أحمد: ٤٩٦/٩ رقم ٥٦٨٤، والحديث مختلف فيه لأجل الاختلاف في سماع عطاء ابن أبي رباح من ابن عمر فنفاه أحمد (المراسيل لابن أبي حاتم: ١٥٤)، وأثبته الفضل بن دكين ففي التاريخ الكبير للبخاري (٤٦٤/٦): وقال أبو نعيم: مات سنة خمس عشرة ومائة، سمع أبا هريرة وابن عباس وأبا سعيد وجابرا وابن عمر رضي الله عنهم. وعلى كل فحديثنا في هذا الأسلوب صحيح ويثبت قضية حثو التراب وما قد يكون لا يثبت هو فعل ابن عمر رضي الله عنهما على فرض عدم سماع عطاء منه.




الثاني: تأويل ظاهر اللفظ عن حقيقته والذهاب إلى أن الأمر قد جاء لتخييب المداحين عن مرادهم وزجرهم، كما يقال للطالب المردود والخائب: لم يُحَصِّل في كفه غير التراب.

قال النووي: وقال آخرون معناه خيبوهم فلا تعطوهم شيئا لمدحهم[١].

قال الخطابي: وقد استعمل المقداد الحديث على ظاهره وحمله على وجهه في تناول عين التراب بيده وحثيه في وجه المادح، وقد يتأول أيضا على وجه آخر وهو أن يكون معناه الخيبة والحرمان أي من تَعَرَّض لكم بالثناء والمدح فلا تعطوه واحرموه[٢].

والمراد من قوله (المداحين) من يمدحون الناس في وجوههم بالباطل وبما ليس فيهم، وإلا فقد مُدِح النبي ﷺ في الشعر والخطب والمخاطبة، ولم يحث في وجه المداحين ولا أمر بذلك[٣].

قال ابن الأثير: وأراد بالمدّاحين الذين اتخذوا مدح الناس عادة وجعلوه بضاعة يستأكلون به الممدوح، فأما من مدح على الفعل الحسن والأمر المحمود ترغيبا في أمثاله وتحريضا للناس على الاقتداء به في أشباهه فليس بمداح، وإن كان قد صار مادحا بما تكلم به من جميل القول[٤].

المعاني المتحققة من الأسلوب الرابع:

١. تعين إيقاف المداح عند حد ما وتنبيهه كي لا يتجاوزه.

٢. إفهام المداح بفساد فعله.

٣. فضح المداح أمام من يشهد مجلس قوله.

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم: ١٢٨/١٨.

(٢) معالم السنن: ١١١/٤.

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال: ٢٥٤/٩.

(٤) النهاية في غريب الحديث: ١٨٤/١.







٤. إرجاع المداح خائباً.

٥. للممدوح خاصة ولمن يتتبع تطبيق السنن عامة ممن يقع أمامه التمادح حثو التراب في وجه المداحين حثوا معنويا بتخييبهم، أو ماديا بإلقاء التراب على وجوههم.

الأسلوب الخامس

تقييد المدح بعدم التزكية وقرنه بلفظ "أحسبه كذا والله حسيبه

قال الإمام البخاري:

حدثنا محمد بن سلام، أخبرنا عبد الوهاب، حدثنا خالد الحذاء، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه، قال: أثنى رجل على رجل عند النبي ﷺ فقال: «ويلك قطعت عنق صاحبك، قطعت عنق صاحبك» مرارا، ثم قال: «من كان منكم مادحا أخاه لا محالة، فليقل أحسب فلانا، والله حسيبه، ولا أزكي على الله أحدا أحسبه كذا وكذا، إن كان يعلم ذلك منه»[(١)].

إن مدح المرء لغيره أمر غير لازم وينبغي أن لا يُقدَّم عليه بغير مبررات تستدعيه، فإن احتيج للمدح فعلى المادح أن لا يقطع بوجود الصفات الحسنة والخصال الجميلة في الممدوح ويتكلم بأمر كأنه ثابت، والواقع أن طروء التغير ممكن على الممدوح، وفي واقعنا الذي نعيشه من الأمثلة الكثيرة على ذلك، فعليه إذن أن يذكر الممدوح على

---

(١) الحديث متفق عليه، أخرجه البخاري كتاب الشهادات - باب: إذا زكى رجل رجلا كفاه: ١٧٦/٣ رقم ٢٦٦٢: قال: حدثنا محمد بن سلام، أخبرنا عبد الوهاب، حدثنا خالد الحذاء، ومسلم: كتاب الزهد والرقائق – باب النهي عن المدح، إذا كان فيه إفراط وخيف منه فتنة على الممدوح: ٢٢٩٦/٤ رقم ٣٠٠٠، وغيرها: قال: حدثنا يحيى بن يحيى، حدثنا يزيد بن زريع، عن خالد الحذاء، وأبو داود كتاب الأدب – باب في كراهية المدح: ٢٥٤/٤ رقم ٤٨٠٥: قال: حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا أبو شهاب، عن خالد الحذاء. و"ابن ماجه كتاب الأدب – باب المدح: رقم ٣٧٤٤: قال: حدثنا أبو بكر، حدثنا شبابة، حدثنا شعبة، عن خالد الحذاء. كلهم عبد الوهاب ويزيد بن زريع وابن شهاب وشعبة عن خالد الحذاء عن عبد الرحمان بن أبي بكرة، به.



وجه الظن ولا يزكي على الله أحدا فهو وحده أعلم من تزكّى، وعليه أن يتبع كلامه بقوله: أحسبه كذا والله حسيبه ولا أزكي على الله أحدا أحسب كذا وكذا، وفي تكرار الفعل (أحسب) ما يمكن عده تنبيها وتذكيرا من المادح لنفسه أن لا يبالغ في المدح بل يصف الممدوح بما لا يزيد من مكانته ولا ينقص من شأنه.

قال السندي: قوله: (أحسبه) أي: لا يقطع بذلك، بل يذكره على وجه الظن حتى يخرج من شين التزكية على الله تعالى، وأيضا هو أقل إغراراً من القطع في حق صاحب المدح والله أعلم[(١)].

المعاني المتحققة من الأسلوب الخامس:

١. يترتب على تزكية المسلم لغيره حصول قبول المُزَكَّى عند الغير، وفي هذا القبول تثبيتٌ لصفات حسنة قد لا تكون فيه يبني عليها السامع الذي حضر عملية المدح أو من نُقل إليه خبرُ المدح تصورا حسنا غير متحقق في المُزَكى.

٢. تغير أحوال الناس من الخير إلى الشر يلزم منه أن يراجع المادح كلامه ولا يطلقه بصيغة الثبوت.

٣. عدم القطع بالتزكية فيه تأديب للمادح أن لا يقطع بأمر يعلمه الله.

٤. عدم القطع بالتزكية فيه إحالة للسامع أن يباشر بنفسه ما يريد معرفته عن الممدوح ويتأكد من تحققه فيه من عدمه، وفي كل ذلك ما يعني عدم التسليم للمادح.

---

(١) حاشية السندي على سنن ابن ماجه: ٤٠٧/٢.

الأسلوب السادس

بيان أن التمادح طريق من طرق الشيطان

قال الإمام أبو داود:

حدثنا مسدد، حدثنا بشر يعني ابن المفضل، حدثنا أبو مسلمة سعيد بن يزيد، عن أبي نضرة، عن مطرف، قال: قال أبي: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ: فقلنا: أنت سيدنا، فقال ﷺ: السيد الله تبارك وتعالى قلنا: وأفضلنا فضلا وأعظمنا طولا، فقال: قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان[(١)].

ينبغي أن تبرز لدى الممدوح الحَذِق والفاهم مآلات الأمور الأسباب التي حملت من يقوم بمدحه على قيامه بهذا الفعل، وعليه أن يكون فطناً وحذراً فيجيب المادح بما يستحقه، وأن لا يتركه يتسلسل في فعله ويتدرج بصعوده في الوصف، بل حتى لو كان بعض المدح صحيحا فأيضًا تبرز ضرورة التنبيه للمادح كي يستوقف نفسه عند حد لا يتجاوزه.

ففي الحديث هنا ما صدر من مدح للنبي ﷺ كان متحققا فيه بالفعل بل ومصرحا به منه ﷺ في مواطن سبق أن صرح لهم بها وهي قوله: (أنا سيد ولد آدم)[(٢)]، لكن خشية النبي ﷺ على المادح من أن يغلبه الشيطان ويجعله وكيلا له في إيصال الرسائل السلبية التي تحمل محتوى ذا مردود سلبي هي التي جعلته يحذر من ذلك، والله أعلم.

---

(١) رواه أبو داود: كتاب الأدب- باب في كراهية التمادح: ٢٥٤/٤ رقم ٤٨٠٦، وأحمد: ٢٣٤/٢٦ رقم ١٦٣٠٧. قال أبو داود: حدثنا مسدد، حدثنا بشر بن المفضل، حدثنا أبو مسلمة، عن أبي نضرة، وقال أحمد: حدثنا حجاج، حدثني شعبة. قال: سمعت قتادة، كلاهما قتادة، وأبو نضرة عن مطرف بن عبد الله بن الشخير، به. قال العظيم آبادي: إسناده صحيح. عون المعبود: ١١٢/١٣. وقال الشيخ شعيب: إسناده صحيح على شرط مسلم. هامش مسند أحمد: ٢٣٥/٢٦.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الفضائل - باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق: ١٧٨٢/٤ رقم ٢٢٧٨.

وقوله ﷺ هنا: (أو بعض قولكم) فيه حذف واختصار ومعناه دعوا بعض قولكم واتركوه واقتصدوا فيه بلا إفراط، أو دعوا قولكم سيدا وقولوا نبيا ورسولا، وقوله: لا يستجرينكم الشيطان معناه لا يتخذنكم جريا والجري الوكيل ويقال الأجير[1].

قال ابن الأثير: أي لا يغلبنكم فيتخذكم جريا أي رسولا ووكيلا وذلك أنهم كانوا مدحوه فكره لهم المبالغة في المدح فنهاهم عنه والمعنى تكلموا بما يحضركم من القول ولا تتكلفوه كأنكم وكلاء الشيطان ورسله تنطقون على لسانه[2].

المعاني المتحققة من الأسلوب السادس:

١. أن التمادح أحد طرق الشيطان.

٢. أن الغالي في المدح وكيل للشيطان ومستعمَل له عرف ذلك من نفسه أو لم يعرف، وغالبهم يعرف ذلك.

٣. تعريف الغالي في المدح بحقيقة فعله كي ينتهي عنه.

والحمد لله أولا وآخرا

---

(١) عون المعبود: ١٣/١١٢.

(٢) النهاية في غريب الحديث: ١/٢٦٤.

ضوابط النشر في المجلة

ترحب هيئة التحرير بكم، وتستقبل مساهماتكم ونشاطاتكم العلمية على البريد الإلكتروني

mailto:almohadith.mg@gmail.com

١. أن تكون المقالات باللغة العربية.

٢.أن تكون المقالات علمية متخصصة بالحديث وعلومه.

٣. تعرض المقالات على اللجنة العلمية للمجلة، وقد تعدل عليها علميا، وبما يناسب طبيعة المجلة.

٤. لا يوجد إلزام لهيئة التحرير بنشر المقالات.

٥. يكون النشر بحسب متطلبات المجلة، ووفق الأمور الفنية الآتية:

أ. هوامش الصفحة تكون ٣ سم من كل الاتجاهات الأربعة، ويكون التباعد (مفردًا).

ب. يستخدم خط (**Traditional Arabic**) للغة العربية، بحجم (١٨)، وبحجم (١٤) للحاشية، وبحجم (١١) للجداول والأشكال.

ت. يستخدم خط (**New Times Roman**) للغة الانجليزية، بحجم (١٢)، وبحجم (١٠) للحاشية والجداول والأشكال.

ث. تكتب الآيات القرآنية وفق المصحف الالكتروني لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بحجم (١٦) بلون عادي غير مسوَّد.

ج. أن يعتني الباحث بسلامة البحث من الأخطاء اللغوية والنحوية.



مجلة

المُحَدِّث

تصدر عن

مدرسة الحديث العراقية